من سلسلة التصوف الإسلامي ورجاله في بلد الجزائر

ترجمة لسان الحال ومنهج العرفان

في

خلاصة رسائل الشيخ والعارف بالله

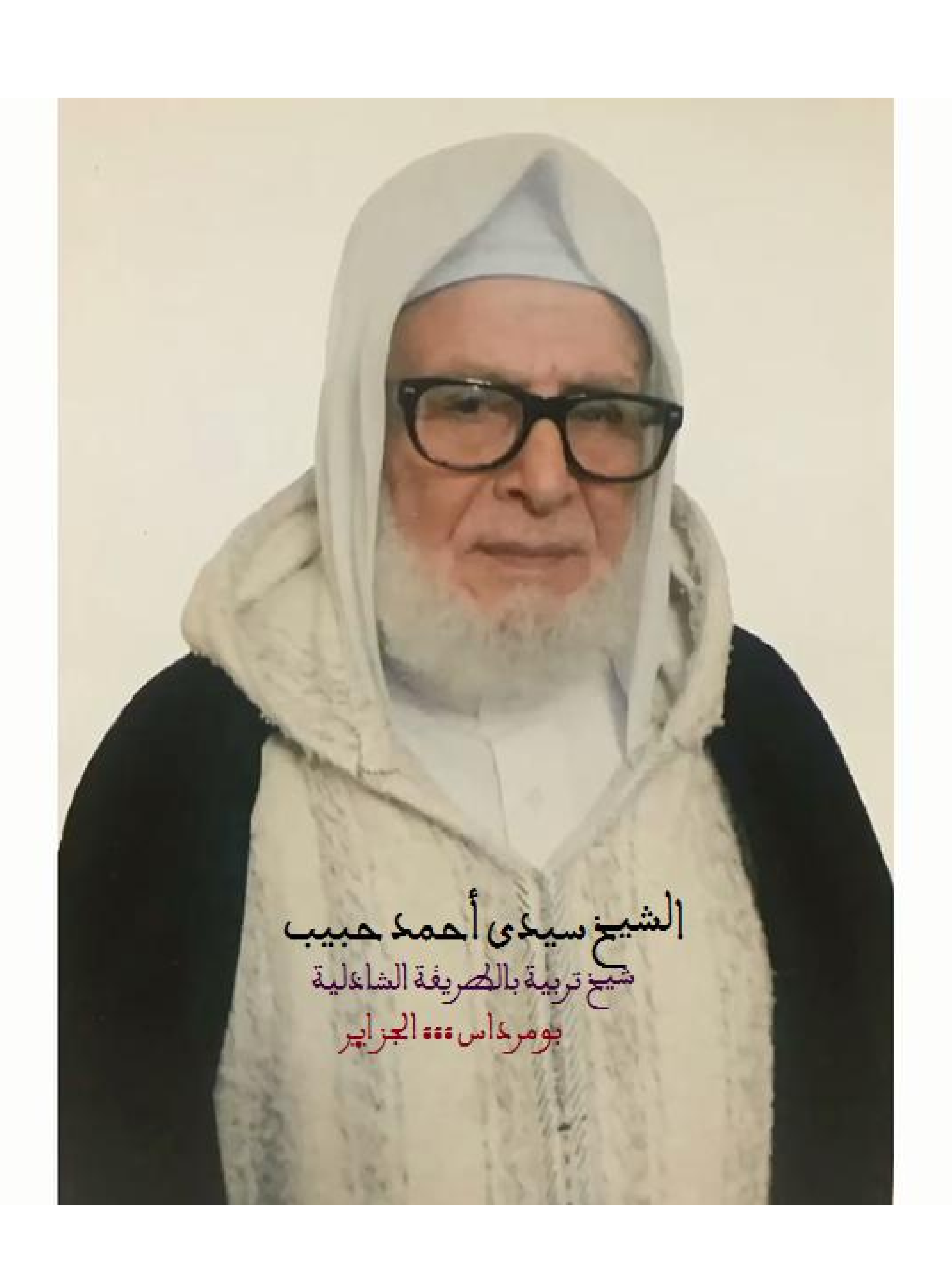
السيد أحمد حبيب الجزائري

من جمع وتقديم، عبد ربه، عبد الكريم بلعيد

الطبعة الأولى: 5 شعبان 1438هـ - 1 مايو 2017م



الشيخ علي البوديلمي المسيلي
التلمساني

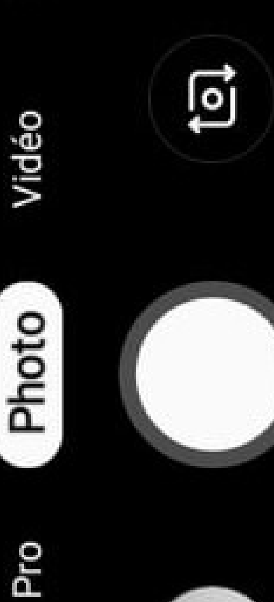

الشيخ سيدي أحمد حبيب
شيخ تربية بالطريقة الشاذلية
بومرداس ::: الجزاير

الله عليه وسلم- في مجده، ويخطر فيه جلال رتبته، وعلو منزلته، وعظيم حرمته، وإن أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار، تعظيما لما عظم الله من شأنه، و قد روى ابن النجار أن امرأة سألت عائشة-رضي الله عنها: أن اكشفي لي عن قبر رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فكشفته فبكت حتى ماتت.إنتهى كلام الإمام القسطلاني-رحمه الله، و علق إمام الأزهر الأسبق، الشيخ علي جمعة-حفظه الله-في كتابه "المتشددون: منهجهم و مناقشة أهم قضاياهم"، ص: ٨٠، الطبعة الأولى من "دار المقطم للنشر و التوزيع" و قال:" قد روى هذه القصة كذلك أبو الحسن علي بن فهر في كتابه- "فضائل مالك" وإسناده لابأس به، و أخرجها القاضي عياض في "الشفاء" من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه. كذلك ذكره السبكي في "شفاء السقام" و السمهودي في "وفاء الوفاء". قال ابن حجر في "الجوهر المنظم": "قد روى هذا بسند صحيح". و قال العلامة الزرقاني في "شرح المواهب": "إن ابن فهد ذكر هذا بسند حسن، و ذكره القاضي عياض بسند صحيح". إنتهى قول الشيخ علي جمعة.

٥٩ استغفار آدم عليه السلام بحق محمد-ﷺ- اسم المرجع: "المستدرك على الصحيحين"، ج٢، ص: ١٦٣٥، رقم الحديث:٤٢٨٦- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، اسم المؤلف:- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء:- خمسة أجزاء، الناشر: دار المعرفة، نص الحديث: أنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-ﷺ- "لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك". قال الحاكم النيسابوري:- هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.



فهرس الكتاب





بعض الرموز والخطوط المستعملة في الكتاب

- الآيات القرآنية:

أ) في متن الكتاب:
إسم الخط باللغة الإنجليزية: Al Qalam Quran
حجم الخط: ١٤ pt
نموذج الخط: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

ب) في هامش الكتاب:
إسم الخط باللغة الإنجليزية: Deco Type Thuluth
نموذج الخط: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

ملاحظة: استعملنا موسوعة القرآن الكريم الرقمية برعاية مكتب الدعوة و توعية الجاليات بحي الروضة، الإصدار ٣،٦٠، عنوان الموقع على الإنترنت: www.arrawdah.com

- الأحاديث النبوية:

إسم الخط باللغة الإنجليزية: Traditional Arabic
حجم الخط: ١٦ pt
نموذج الخط: عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»

ملاحظات: استعملنا في تخريج الأحاديث الموسوعات الرقمية التالية:

1. برنامج "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، الإصدار الأول ١،٠ للشبكة الإسلامية بدولة قطر ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠١٢م، و الموسوعة تعرض أهم المراجع و الكتب الإسلامية في شتى علوم الدين. و يضم البرنامج مجموعة كبيرة من أمهات كتب العلوم الشرعية في الحديث النبوي الشريف، والفقه الإسلامي، والتاريخ و الآداب الشرعية، و أصول الفقه و تفسير القرآن الكريم، و غيرها من الكتب. عنوان الموقع الإلكتروني على الإنترنت: https://www.islamweb.net/mw2.php
2. برنامج "جوامع الكلم" موسوعة حديثية شاملة تضم بين جنباتها ١٤٠٠ مصدراً حديثياً. عنوان الموقع على الإنترنت:- http://gk.islamweb.net:8080/
3. موسوعة "المكتبة الشاملة" التي تحتوي في جنباتها أكثر من ٧٠٠٠ (سبعة آلاف) كتاب رقمي في كل تخصصات العلم الشرعي. عنوان صفحة "المكتبة الشاملة" على الإنترنت: http://shamela.ws

ملاحظة: كل الأحاديث التي ذكرناها في الكتاب: أ) إذا كانت نصها الكامل و ضعناها بين رمزين هكذا: «...نص الحديث...»، ب) و إذا كان نص الحديث جزءً من حديث وضعناها بين رمزين هذا الشكل: "...نص الحديث..."

- نص الكتاب:

إسم الخط باللغة الإنجليزية: Traditional Arabic
حجم الخط: ١٦ pt
نموذج الخط: هذا خط الكتاب

من سلسلة "التصوف الإسلامي و رجاله في بلد الجزائر":-

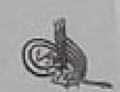
ترجمة لسان الحال و منهج العرفان
في
خلاصة رسائل الشيخ و العارف بالله
السيد أحمد حبيب الجزائري

من جمع و تقديم، عبد ربه، عبد الكريم بلعيد

الطبعة الأولى

طُبِعَ في: رمضان ١٤٣٨ هجرية
جوان ٢٠١٧ ميلادية





تمهيد:

الحمد لله الذي أعلى مراتب العارفين بالله الأعلام و منحهم من علومه اللُّدنية ما تقصر عن إدراكها العقول و الأفهام و تقصر عن التعبير عن حقائقها المحابر و الأقلام، و الذين أطلعهم مولاهم العزيز المنان على حقائق الأسرار و شؤونه في الخلائق و الأكوان و جعل معاليهم زاهرة و أضواء فهومهم تمد الطالبين لمعرفة الواحد العلام بالنور الذي لا يدركه إلا من زكت و ارتقت نفسه إلى مقامات الأبرار و سار على الدرب الذي سطره خير الخلائق و سيد الأبرار-صلى عليه ربُّنا و سلم خير سلام، صلاة و سلاما يحققان إيماننا و ندخل بهما دار السلام.

أما بعد فيقول المفتقر إلى الله جامع هذا الكتاب، غفر الله زلاته و تقصيره و أحسن إليه في أولاه و أخراه و والى عليه النعم و رزقه الإستقامة على صراط الله المستقيم، صراط أهل الله العارفين من الذين سبقونا بالإيمان و الذين اتبعوهم بإحسان؛ قال تعالى-ﷻ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ[1] ﴾؛ هذا كتاب: "**ترجمة لسان الحال و منهج العرفان في خلاصة رسائل الشيخ و العارف بالله السيد أحمد حبيب الجزائري**" و هو تأليف يجمع في طياته زبدة الرسائل التي ألفها العالم الرباني و الحبر الصمداني سيدي أحمد حبيب الجزائري الذي مازال حيًّا يُرزق، حفظ الله صحته و متّع المسلمين بحياته و بارك لهم في نفحاته العرفانية الصادرة من مشكاة التوحيد و أنوار السنة المحمدية. هذا و لقد منَّ الله علينا جمع هذا المكتوب بفضله و كرمه؛ و ذلك تحقيقا لرغبتين إثنتين:-

أ) أن يستعملنا مولانا في حفظ تراث علماء أمة خير الأنام-عليه الصلاة و السلام- ضمن قوله- ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ[2] ﴾:

- ب) و لينتفع به كل من طلب تحقيق إيمانه و اشتاقت روحه إلى معرفة الملك العلام على نهج العارفين بالله الأعلام فغاصت بذلك روحه في بحر معاني رسائل الشيخ الفريد و الحبر الفهّامة التي نقدمها لذوي الفكر و الأفهام.

و هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ الكريم يُعدُّ الكتاب الثاني الذي ننشره

[1] جزء من الآية ١٠٠ من سورة "التوبة".

[2] جزء من الآية ١٢ من سورة "يس".

في سلسلة "رجال التصوف الإسلامي لبلد الجزائر"- الذي سبقه السِّفرُ الأول الذي طبعناه منذ سنين قليلة و الذي ضمَّ في طياته نبذة عطرة عن حياة سيدنا و شيخنا الهمام و المحقق في العلم و التصوف الإسلامي، و العارف بالله الأنور، مرشد الطالبين و ملقن الإسم الأعظم، العلامة سيدنا علي البوديلمي المذكور في كتاب "تاريخ الجزائر الثقافي[1]" للدكتور أبي القاسم سعد الله. هذا و لقد حاولنا في هذا التأليف أمورا ستةً -و هي كالتالي:-

- **أولها**-أن نجمع جل الرسائل التي كتبها شيخنا و صاحب الفضل علينا، أحمد حبيب، في مسائل فقهية و عقدية التي شغلت عامة المسلمين في عصرنا الحالي.
- **ثانيها**-أن نجمع عيّنات لتلك الرسائل التي كثر عددها و طاب محتواها و التي أرسلها لتلاميذه القاطنين ببلد الجزائر و بلدان أخرى في شتى أنحاء المعمورة. و هذا حتى يتجلى، خلالها، للقارئ الكريم منهج الشيخ في العلم و التصوف الإسلامي.
- **ثالثها**-أن نبحث في تراث و أقوال علماء المسلمين من مدارس المذاهب الأربعة لأهل السنة و الجماعة التي وافقت أراء الأستاذ في المسائل الفقهية و علوم السلوك و المسائل الإجتهادية.
- **رابعها**-أن نعرض عيّنات لأبيات و قصائد شعرية قالها في المعرفة بالله و إرشاد السالكين. و لقد ألحقنا هذا القسم بملحق هذا الكتاب.
- **خامسها**-أن نذكر أسماء كل شيوخ السلسلة الروحية - في فن التصوف و المعرفة بالله-التي ينتمي إليها الشيخ و الأستاذ أحمد حبيب.
- **سادسها**-أن نُخرّج كلّ الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و كل ما ذكره الأستاذ في رسائله من أقوال علماء الإسلام في الفقه و التصوف الإسلامي. كما أننا ذكرنا المراجعَ العلمية و تفاصيل الكتب التي رجعنا إليها في بحوثنا؛ فذكرنا تفاصيل ناشري الكتب و سنة الطبع، ..إلخ؛ لكي يستطيع أن يعود إليها الباحث لغرض التحقق و إستخراج النصوص المرجعية التي ذكرناها في هذا التأليف حتى نحقق بذلك غرضا من أغراض الأمانة العلمية و التي هي الأمانة في نقل النصوص.

هذا و لقد أضفنا بابًا عريضاً جاوزَ خمسين صفحةً في ملحق الكتاب-و الذي هو عبارة عن بحث مطول في مسألة التوسل بسيد السادات و رسول ربِّ العالمين سيدنا محمّد-ﷺ-التي كثر فيها الكلام و سمينا الباب: "**كشف اللثام و المورد العذب الزلال في التوسل بخير الأنام**-ﷺ". هذا البحث قصده إثبات إجماع الأمة على التوسل بالنبي-ﷺ-قبل ظهور ابن تيمية الحراني في القرن السابع الهجري[2]

[1] الكتاب: "تاريخ الجزائر الثقافي" أو "الموسوعة الثقافية الجزائرية"، المؤلف: أبو القاسم سعد الله (المتوفى: ١٤٣٥ هـ)، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١٠.

[2] ابن تَيْمِيَة-(٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي

كما يذكر البحث أقوال أكابر علماء الأمة المحمدية من جهابذة العلم لأهل السنة و الجماعة عبر كل العصور -من عصر قبل البعثة النبوية إلى عصرنا الحالي- التي أقرت و أيدت التوسل بالنبي الكريم -ﷺ-.

و لقد قسمنا هذا الكتاب إلى ثمانية أبواب -و هي كالتالي:-

نسأل الله العصمة من الزيغ و الزلل، و تحقيق ما قصدناه بفضله و كرمه و بصاحب الجاه العظيم، سيدنا و نبينا و قدوتنا رسول ربّ العالمين -ﷺ- جعلنا الله ممن كانوا على دربه و صراطه القويم و الذين اهتدوا بهديه. آمين- ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ[1]﴾.

القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية. نقلا بتصرف عن؛ "الأعلام للزركلي".

[1] جزء من الآية ٨٨ من سورة "هود".

البَابُ الأَوَّلُ:

نبذة عن الشيخ أحمد حبيب و ترجمة لشيخه في العلم و المعرفة بالله



نبذة عن الشيخ سيدي أحمد حبيب– رعاه الله:

ولد صاحب القدر المفخم، السيد الشيخ المفضال أحمد حبيب–رعاه الله– في قرية أولاد علي، دائرة خميس الخشنة، ولاية بومرداس في بلد الجزائر في ١٩ ذي القعدة ١٣٥٩هـ الموافق لـ ١٨ ديسمبر ١٩٤٠م، و هو ابن السيد عبد القادر بن عمر حبيب–رحمه الله.

انضم سليل العلم و العرفان سيدي أحمد حبيب إلى درب الإخوان الصوفية تحت إشراف العلامة و العارف الرباني مرشد المريدين و السالكين الشيخ الجليل علي البوديلمي–قدس الله سره– في شهر ذي الحجة في عام ١٣٨٢هـ الموافق لشهر مايو من سنة ١٩٦٣م؛ و كان ذلك في زاوية في مركز التكوين المهني بمدينة القبة في الجزائر العاصمة الذي كان يشرف عليه أخونا السيد الحاج عبد الحفيظ بن رقيبي–رحمه الله– و هو بدوره من تلاميذ الأستاذ. و كان أول لقاء الشيخ أحمد حبيب بالأستاذ بعد زيارة سيدي علي البوديلمي لمدينة الجزائر العاصمة لتفقد الإخوان الصوفية و زيارتهم في السنة المذكورة آنفا. وبعد سنتين من انضمامه إلى حزب الصّالحين، أذن له الأستاذ في الإشراف على خدمة الإخوان بزاوية أولاد علي و القيام بحلقات الذكر و التدريس. و بناءً على شعار الأستاذ:– "إنّ الله لا يعبد بالجهل، إنّ الله يُعبدُ بالعلم"، شرع الإخوان الصوفية تحت إشراف الشيخ سيدي أحمد حبيب في تعلم علوم اللغة العربية من قواعد و نحو، وحفظ القرآن المجيد و علوم الشرع الكريم و فقه العبادات على مذهب إمامنا الجليل و إمام دار الهجرة مالك بن أنس–رضي الله عنه. كما كانت كذلك الزاوية محلاً لتدريس علوم التصوف الإسلامي المتعلقة بتصفية القلوب و تزكية النفوس و التقرب إلى المعبود بشتى العبادات المشروعة، و كل ما دار مداره على محبة الله و رسوله و عباده الصالحين. وكانت تلك الدروس تُلقى في خلال أيام الأسبوع بعد صلاة المغرب بشكل دائم و مستمر. و في سنة ١٣٨٨هجرية الموافق لـ ١٩٦٨ميلادية دخل سيدي أحمد حبيب الخلوة و ذكر الإسم الأعظم تحت إشراف الأستاذ، و فتح الله عليه بالخير العميم و البركة.

كان سيدي أحمد حبيب و لم يزل من أبرز تلاميذ الأستاذ الذين تفانوا في خدمة النسبة الربّانية المباركة، نسبة الطريقة الصوفية، و كان الأستاذ سيدي علي البوديلمي –رحمه الله– يُباهي بجماعة خميس الخشنة و يظهر فضلهم ما بين الإخوان وكان يأمر تلاميذه و يقول:لا تقولوا "جماعة خميس الخشنة" بل قولوا "جماعة خميس الجنة"! إن الأستاذ أحمد حبيب يمتاز بأسلوب رفيع و يتجلى هذا في طريقة نصحه لمريدي و طلاب مقام الإحسان و العرفان و سائر المؤمنين في الرسائل التي جمعناها في هذا الكتاب. و لقد بلغني أنّ الأستاذ كان يرسل إلى جماعة "خميس الجنة" أسئلة في علم التوحيد و المعرفة

بالله[١]، و هذا حتى يشاركوا إخوانهم في تلمسان في المذاكرات التي كان يستعملها الأستاذ كأسلوب لترقية المريدين و تربيتهم في العلوم الذوقية و العرفانية. و كان الأستاذ يقول، بعد تلقيه أجوبة جماعة سيدي أحمد حبيب: كم من بعيد و هو قريب!–إشارة إلى إصابتهم في الإجابة.

كما لا تفوتني الإشارة إلى أن العبد الضعيف و عبد ربه، جامع هذا الكتاب، أخذ التصوف عن الأستاذ سيدي علي البوديلمي و الفضل في ذلك يرجع إلى حضرة سيدي أحمد حبيب–جزاه الله عنا خيرا– حيث كان سببًا في ملاقاتي مع الأستاذ بمدينة إقامته و الأخذ عنه، و فضل سيدي أحمد حبيب عليّ عظيم. إنّ حلقاته أنعشت و لم تزل تغذي الأرواح و تجذب كل من حضرها من طلاب الآخرة و أهل العلم المتخصصين في علوم الشرع الكريم و علوم الدنيا؛ و ذلك لأسلوبه الرفيع المتميز عن غيره برقته و مناسبته لأسلوب و لغة العصر؛ و في الأثر: "الصوفي ابن وقته!"–و الشيخ سيدي الحاج أحمد–رعاه الله–لا يزال على قيد الحياة و هو من أهل التربية الروحية البارزين و الذي لم يزل يبذل النفس و النفيس في خدمة دين الله الحنيف و يجاهد بمساهماته في التدريس اليومي بزاويته و بتنقلاته في مختلف البقاع لترسيخ علوم التصوف الإسلامي الصحيح الذي يقوم على الأسس المتينة لكتاب ربنا ﷻ و سنة نبيا محمد–ﷺ– و ما كان عليه عباد الله الصالحين من تقوى و معرفة و حسن السيرة في الظاهر و الباطن حسبما جاءت به التعاليم الربانية في الكتاب المجيد: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[٢]؛ و كذلك قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾[٣].حفظه الله لخدمة دين الله الحنيف و خدمة المسلمين. آمين. آمين. آمين.

أخذ السيد أحمد حبيب علوم الشرع الكريم و المعرفة بالله من الشيخ الهمام، العلامة، سليل العلم و المعرفة السيد الجليل، علي البوديلمي–قدس الله سرّه، و صاحبه

---

[١] جاء في كتاب "تحفة الأحوذي"، ج١٠، ص:٣٠١، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، موضوع المرجع: شروح الحديث، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء، الناشر: دار الكتب العلمية ، ما نصه: "قال النووي في شرح مسلم نقلا عن ابن الصلاح : "في تفسير الحكمة أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائلها على بعض صفات الحكمة ، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى ، المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق ، والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى، والباطل، والحكيم من له ذلك".

[٢] جزء من الآية ١٥١ من سورة "الأنعام".

[٣] جزء من الآية ٣٣ من سورة "الأعراف".

لمدة زادت عن خمس و عشرين (٢٥) سنة؛ و ذلك حتى انتقال صاحب الفضل علينا إلى جوار ربّه الكريم في شهر محرم من سنة ١٤٠٩ هجرية الموافق لـ ٨ سبتمبر ١٩٨٨ ميلادية.

و لقد أجاز شيخنا علي البوديلمي -قدس الله سرّه- الأستاذ سيدي أحمد حبيب في الوعظ و الإرشاد في علوم الشرع الكريم و السلوك؛ حيث أنه إستفاد من صحبة شيخه الهمام و ظهر عليه الخير الكثير خلال حياة شيخنا و بعد انتقاله إلى جوار ربّه. و بناءً على معنى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ[1]﴾، واصل و واظب السير الأستاذ أحمد حبيب على ماكان عليه خلال حياة شيخه من خدمة الله و رسوله -ﷺ- و طريق الإخوان الصوفية بنشاطاته العلمية و التدريسية في مقر زاويته في قرية أولاد علي و شتى البقاع في بلد الجزائر و خارجه فأفاد بعلمه و سيرته العطرة جماً غفيراً من طلبة العلم و العرفان على منهاج الكتاب و السنة المطهرة -فبث علمه في قرى و مدن و بلدان شتى حتى بلغ صيته أقصى بلدان المعمورة: أوروبا، أسيا، أمريكا الشمالية و الجنوبية.

بعض الإجازات العلمية لشيخ الأستاذ -الشيخ سيدي علي البوديلمي، و مكانته العلمية:

و لما كان السند يحتل مكانة عظيمة في ديننا الحنيف رأينا من الضروري أن نذكر للقارئ و طلاب العلم الشرعي خلاصة مباركة و نبذةً عن شيخ الأستاذ أحمد حبيب في العلم و المعرفة بالله. لقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله -رحمه الله- الجزائري في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي- الموسوعة الثقافية الجزائرية"[2] شيخنا علي البوديلمي -قدس الله روحه- و بعض إجازاته العلمية بما نصه: "إجازات بعض علماء الجزائر، و تونس و المغرب للشيخ علي البوديلمي. فقد ذكر، مترجما، الجيلاني بن عبد الحكم في "المرآة الجلية" أن هذا الشيخ قد أجيز من شيوخه في البلدان المذكورة. وذكر منهم مجموعة من كل بلد، ومنهم ابن باديس[3] في قسنطينة ومعاوية التميمي في تونس وعبد الحي الكتاني في المغرب. وجاء

[1] جزء من الآية ١٠ من سورة "الفتح".

[2] الكتاب: "تاريخ الجزائر الثقافي- أو الموسوعة الثقافية الجزائرية"، ج٨، ص٦٣، المؤلف: أبو القاسم سعد الله (المتوفى: ١٤٣٥ هـ)، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ١٠، فائدة: (جـ ١ - ٩) مصورة (بنفس ترقيم صفحاتها) عن ط. دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى - ١٩٩٨م.

[3] ابن باديس - (١٣٠٥ - ١٣٥٩ هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠ م): عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس:- رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، من بدء قيامها سنة ١٩٣١ م -إلى وفاته. ولد في قسنطينة، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس. وأصدر مجلة علمية دينية أدبية، "مجلة الشهاب"؛ صدر منها في حياته نحو ١٥ مجلدا. وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي. وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وأنشأت "جمعية العلماء" في عهد رياسته كثيرا من المدارس. وتوفي بقسنطينة في حياة

في "المرآة الجلية[1]" أن نصوص الإجازات متوفرة عند صاحبها. ويغلب على الظن أن بعضها على الأقل مكتوب بأسلوب رفيع، وأنها علمية وليست صوفية. على أن الشيخ علي البوديلمي كان أيضا من أهل الطرق الصوفية، فلعله أخذ من شيوخها إجازات، سيما الرحمانية والدرقاوية العلاوية" -إنتهى-

و لقد وضع ترجمة لشيخنا سيدي علي البوديلمي -رحمه الله، صاحب كتاب "المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية"؛ و ذكر فيها نبذة عن حياته و شيوخه في العلم الشرعي و هذا هو نصه: "الشيخ السيد علي البوديلمي: ولد بالمسيلة المحمدية من عمالة قسنطينة في عام ١٣٢٩ هجري موافق لسنة ١٩٠٩ مسيحي و والده من العلماء العاملين و الأولياء الصّالحين و هو شيخ الطريقة الخلوتية العلامة الجليل الشريف الأصيل القدوة النبيل الشيخ السيد الحاج محمد بن السيد الحاج عبد الله بن عبد القادر بن الولي الصّالح الشيخ سيدي أبو زيان بن سيدي المبارك بن سيدي الموهوب يتصل نسبه على التحقيق بالقطب الكبير سيدي محمد الديلمي المشهور عند أهل الحضنة و أولاد دراج بالولاية و الصلاح، و من هته العائلة العلامة الجليل الشيخ محمد بن عزوز الديلمي المذكو في "البستان من علماء تلمسان"[2] و لم تنقطع آثار ذلك في أولاده خلفا عن سلف إلى الآن حتى أن عرش المطارقة و قبائل

والده. له "تفسير القرآن الكريم" اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما....ثم جمع تفسيره لآيات من القرآن، باسم "مجلس التذكير - ط" ونشر في الجزائر "آثار ابن باديس" في ٤ مجلدات (٢) -إنتهى؛ نقلا عن "الأعلام للزركلي"، ج٣، ص٢٨٩- بتصرف بسيط.

[1] "المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية"، من تأليف الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي [الجزائري]. ومحتوى الكتاب واضح من عنوانه، وهو في الأنساب وتراجم بعض رجال التصوف ومن تعاطف معهم. فبالإضافة إلى أولاد سيدي يحي بن صفية ترجم المؤلف لعلي البوديلمي [و هو شيخ الأستاذ أحمد حبيب]، والمهدي البوعبدلي، وأفراد من عائلة العشعاشي، والمولود الحافظي، وشيوخ الزوايا المعروفة مثل محمد الموسوم وتلاميذه، وابن تكوك السنوسي، والهاشمي بن بكار، ومصطفى فخار مفتي المدية، ومفتي مليانة، ومحمد البشير الرابحي، والشاعر أحمد الأكحل،..الخ. فالتراجم إذن شملت شيوخ الزوايا ورجال التدريس والإفتاء في الفترة الفرنسية. ولكنه ترجم أيضا لعبد الحميد بن باديس. والكتاب على ما فيه، مفيد للمؤرخ إذ يقدم صورة لأحد التيارات المتفاعلة في الجزائر عشية الثورة، وهو التيار الديني المحافظ. إنتهى؛ نقلام من "كتاب تاريخ الجزائر الثقافي أو الموسوعة الثقافية الجزائرية" للدكتور أبو القاسم سعد الله (المتوفى:- ١٤٣٥ هـ)- و النص أعلاه موجود في ج٧، ص٤٤٣.

[2] "ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان"، تأليف الإمام العلامة القدوة أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني -رحمه الله، وقف على طبعه و اعتنى بمراجعة أصله حضرة الشيخ محمد ابن أبي شنب المدرس بالمدرسة الثعالبية الدولية و مدرسة الآداب العليا بالجزائر، طبع في المطبعة الثعالبية لصاحبيها أحمد بن مراد التركي و أخيه سنة ١٦٦٢هـ - ١٩٠٨م.

من أولاد دراج لا يزالون ملتزمين لخدمة أبنائه حسبما تقرر عند أسلافهم......"-إنتهى بتصرف.

و ذكر الحاج الجيلاني بن عبد الحكم العطافي صاحب "المرآة الجلية"[1] نبذة عن والد الأستاذ سيدي علي البوديلمي، الشيخ و العالم العظيم السيد الحاج محمد بن عبد الله الديلمي-رحمه الله-و هذا هو نصه: "أسس زاويته العامرة بالعلم و القرآن الكريم و تخرج منها أناسٌ كثيرون في العلوم الإسلامية هم منتشرون في القطر و منهم المهاجرون بمصر و بالمدينة المنورة و مما اتصف به أنه منذ أربعين سنة لم يخرج إلى السوق و هو معتكف على العبادة و الطاعة و إرشاد المريدين و تعليم المتعلمين و هو الذي يقوم بمئونة الجميع و يزيد حتى الكسوة السنوية للضعفاء منهم بماله الخاص و ثروته الزراعية. قرأ الشيخ السيد ابن عبد الله في قسنطينة على علامة زمانه السيد الحاج عبد القادر المجاوي و في بجاية على فريد عصره الفقيه سعيد الحريزي و غيرهم كما قرأ في معهد سيدي عبد الرحمان ليلولي[2] و في معهد سيدي أحمد بن يحي بزواوة و قد تجول بالشرق و جاور المدينة المنورة سنين أخذ فيها عن علمائها كما أخذ الطريقة الخلوتية عن ولي الله صاحب الأستاذ و التربية سيدي عمارة بن أبي الديار بجبل الناظور و هو أخذ عن سيدي بن الحداد عن الشيخ الكبير سيدي أمحمد بن عبد الرحمان الأزهري دفين الجزائر و قد صدَّره في حياته و أذن له في التربية. عاش السيد بن عبد الله سبعاً و تسعين سنة و توفي عام ١٣٧٠ هجري موافق ١٩٤٢ مسيحي رحمه الله و جعل الجنة مسكنه و مأواه"-إنتهى بتصرف.

و ذكر عن والدة شيخنا علي البوديلمي-رحمه الله، السيدة كلتوم[3] بنت الفقيه الجليل السيد بن الشيخ ما نصه: "فهي من عائلة السيد امعمري التي يتصل نسبها بالولي الصالح سيدي علي الطيار بالقصور قرب برج بوعريريج من عمالة قسنطينة[4]، و قد وافاها الأجل عند ولدها السيد علي المذكور فدفنت في مقبرة الإمام السنوسي بجنب ضريح سيدي الكماد بتلمسان – رحم الله الجميع-آمين"-إنتهى.

و ذكر صاحب "المرآة الجليلة" في ترجمته لشيخنا و أستاذنا سليل العلم و العرفان ما نصه: "قرأ الشيخ السيد علي البوديلمي القرآن في مدرسة أبيه بالمسيلة و تلقى مبادئ العلوم على والده و على جماعة من الشيوخ المتعاقبين بالزاوية و غالبهم أجازه كوالده، ثم انتقل إلى زاوية الهامل ببوسعادة فمكث في المعهد القاسمي نحو سنة تناول بعض العلوم الدينية ثم ارتحل إلى قسنطينة فزاول دروسه على رجال

[1] ص: ٣٥٠-٣٥١ من الكتاب.

[2] هكذا وجدنا الكلمة في نص الكتاب؛ و قد يكون اسم العائلة؛ "اليلولي"-و الله أعلم.

[3] وجدنا الإسم هكذا؛ و قد يكون الإسم-"كلثوم".-و الله أعلم.

[4] مدينة بشرق الجزائر.

فطاحل في العلم كالعلامة الشيخ السيد عبد الحميد بن باديس، و ولي الله الصالح الشيخ السيد الحيباتي، و العلامة السيد الزواوي الفقون، و الفقيه السيد الطاهر زقوطة، و الشيخ يحي الدراجي-فلازم هؤلاء المشايخ سنين عديدة بجد و اجتهاد متواصل حتى تحصَّل منهم على الإذن و أجازه بشهادات بخطوط أيديهم ثم هاجر إلى تونس [و هناك][1] استكمل معارفه بجامع "الزيتونة" المعمور على مشايخ اختارهم لذلك و واظب على مجالسهم كالأستاذ ماشو، و الأستاذ بن القاضي، و الأستاذ أبو الحسن النجار، و الأستاذ معاوية التميمي، و الأستاذ الزغويني، و الأستاذ عبد السلام التونسي، و الأستاذ المختار بن محمود، كما حضر دروس التفسير على شيخ الإسلام سيد الطاهر بن عاشور.

و لما ملأ وطابه بالعلم قفل راجعا إلى مسقط رأسه بالمسيلة متصديا [أين تصدى][2] للتدريس فدرس في زاوية أبيه و زاوية أبو جنبين التي لا تخلو من الطلبة المسافرين ثم انتقل إلى جعافرة ازواوة بطلب من أهلها ثم انتقل إلى مستغانم فرغبه والده بأن يأخذ الإسم الأعظم على ولي الله الشيخ السيد بن عليوة[3] مسلك الرياضة الروحية للسادة الصوفية فصار من فحول الرجال الذين يضرب بهم المثل في هذا الشأن و الله ولي الإمتنان. أما قصته قبل ذلك مع الشيخ بن عليوة فهي مشهورة و يخرج بنا ذكرها عن الإختصار. هذا و قد دعته جماعة من أعيان تلمسان أن يقدم عندهم للتدريس و التربية فأجاب دعوتهم لذلك......و أسس زاوية كبرى بتلمسان سلك في إدارتها مسلك شيخه و أبيه فأقبلت عليه الناس إقبالاً عظيماً بما كان يقوم به من تعليم العلم و تلقين الإسم الأعظم و له تلامذةٌ كثيرون في تلمسان و ضواحيها رباهم و أدبهم على الشريعة المطهرة فأحسن تربيتهم و تأديبهم و قد فتح عدة زوايا في القرى و البوادي و في هته الأيام الأخيرة حضرت احتفال فتح زاوية له بوهران حضره أتباعه و تلامذته من كل ناحية و مكان.........في سنة ١٩٤٦م مسيحية انعقدت مسابقة لامتحانات الوظائف الدينية بوهران بدار العمالة فانخرط فيها السيد علي البوديلمي فكان فيها من الفائزين الأوَّلين فهو إمامٌ راتب الآن بأحد مساجد تلمسان كما أنه لقي دائماً دروسه في التفسير و الحديث

[1] رعاية لأمانة النقل ننبه أن النسخة التي استعملناها وجدنا النص كما يلي: "ثم هاجر إلى تونس فيها استكمل معارفه". إنا أضفنا هنا؛ "[و هناك]" حتى يستقيم المعنى.

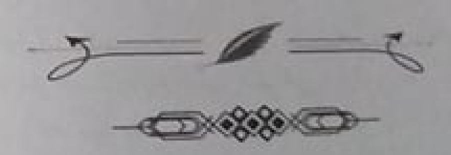
[2] وجدنا في النسخة التي استعملناها الجملة كما يلي: "راجعًا إلى مسقط رأسه بالمسيلة متصديا للتدريس"؛ أضفنا "[أين تصدى]" حتى يستقيم المعنى.

[3] السيد و القطب الرباني مرشد المريدين و العارفين، سيدي أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري(ت:١٩٣٤ م).

و الفقه الإسلامي بالمسجد الأعظم و له تآليف كثيرة تشهد له بالنبوغ في علم الظاهر و الباطن؛ منها:-

- "إماطة اللثام"[1]،
- "رفع التلبيس عن وساوس إبليس"؛
- "حاجة البشرية إلى الدين"؛
- "الرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية"؛
- "كشف الغيم في قضية عيسى بن مريم"؛
- "رماح علماء السنة المحمدية"؛
- ديوان يشتمل على قصائد شتى في المديح و الأذكار إلى غير ذلك.

أمّا عائلة السيد علي البوديلمي فهي لا زالت بوطن الأجداد بالمسيلة؛ فله أربعة إخوة:-ثلاثة ذكور و أنثى فالأكبر من الجميع هو الفقيه العلامة السيد محمد الديلمي و يليه السيد أحمد و الثالث السيد أبي القاسم ثم البنت فهي السيدة جميلة.......و قد تحول السيد البوديلمي المذكور بالقطر المغربي و أخذ علم الحديث درايةً و روايةً فأُجيزَ من محدث المغرب الشيخ الكتاني[2]، و من الشيخ الحجوي الوزير، و من الشيخ بن زيدان"-إنتهى.

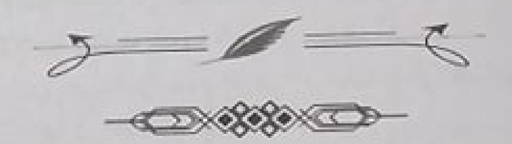


[1] هنا تصرفنا تصرفاً بسيطاً في النص الأصلي حيث أننا حذفنا تكرار كلمة "منها" بعد ذكر أسماء الكتب.

[2] لأستاذنا و شيخنا سيدي علي البوديلمي -قدس الله سره- كتاب فيه شيوخه في الحديث النبوي و هو "صلة الموصول بحديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-".

الباب الثاني:

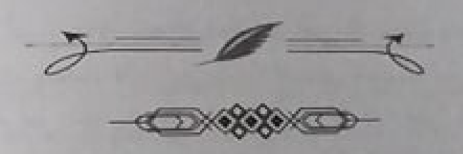
رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الدين



التبرك بآثار أصابع رسول الله -صلى الله عليه وسلم:

جاء عن أبي أيوب الأنصاري -ﷺ- و هو يحدث عن أيام رسول الله -ﷺ- عنده. قال: لما نزل رسول الله -ﷺ- في بيتي؛ نزل في أسفل البيت و أنا و أم أيوب في العلو، فقلت له يا نبي الله، بأبي أنت و أمي إني لأكره و أعظم أن أكون فوقك و تكون تحتي، فاظهر أنت فكن في الأعلى، ننزل نكن في الأسفل. فقال، يا أبا أيوب إنه لأرفق بنا و بمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت"؛ إلى أن قال أبو أيوب"....و كنا نضع له العشاء، ثم نبعث به إليه فإذا ردّ علينا فضلَه تيممتُ أنا و أم أيوب موضعَ يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه و قد جعلنا له بصلاً و ثومًا فرده رسول الله -ﷺ- و لم أر ليده فيه أثرًا؛ فجئته فزعًا فقلت يا رسول الله، بأبي أنت و أمي، رددت عشاءك و لم أر فيه موضع يدك، و كنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا و أم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة. فقال: إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة و أنا رجل أناجي، فأمّا أنتم فكلوه. قال؛ فأكلناه ثم لم نضع في طعامه شيئًا من الثوم والبصل بعد[1]-إنتهى. إن هذه القصة تخبرنا على مدى حب الصحابة العميق، رجالًا و نساءً و أطفالًا للنبي -ﷺ- و تبين لنا مدى فيضان محبتهم للرسول -ﷺ. و الذي أردنا الإشارة إليه من خلال هذا القصة: هو تبرك أبي أيوب و زوجه بآثار أصابع رسول الله -ﷺ؛ و أن أمر التبرك أمرٌ أقره رسول الله -ﷺ.

و بهذه المسألة الجليلة نختم هذه الرسالة، "رسالة اليقين في مسائل ذات أهمية في الـدين"، وصلى الله على سيدنا محمد و على آله و أصحابه وسلم تسليما.



[1] حديث صحيح. "المعجم الكبير للطبراني"، ج٤، ص:١٢٠، رقم الحديث: ٣٨٥٥/٣٧٦١-موسوعة "جوامع الكلم".

الباب الثالث:

رسالة إلى صديق حميم و محبين في الفرق بين التصوف الحقيقي و التصوف المجازي





الإفتتاحية[1]:

بعد الصلاة و التسليم على نور الهدى محمد الأمين و على آله و صحبه الأكرمين، نبتدئ هذه الإفتتاحية في تبيان ما جاء في هذه الرسالة الربانية و ما كان من أسباب خروجها للعلانية؛ فهي مدرج للسالكين و تنبيه للغافلين و منهاج للمريدين و فصل خطاب خطّه سيف الحق و مسعفه العارف بربّه أخونا الشيخ أحمد حبيب، مُقدّم الطريقة العلوية الشاذلية و شيخ التربية الإسلامية الصوفية السليمة في ربوع الجمهورية الجزائرية.

أمّا بعد، أخي القارئ الكريم؛ لقد تلقّينا تساؤلات كثيرة و متنوّعة من إخواننا في الدّين و العقيدة و من غيرهم الذين هم في شتّى بقاع المعمورة، طالبين و باحثين عن معنى التّصوف و ماهيته و كذا منبعه، و آخرون مُنكرون وجوده، بل يقولون ببطلانه و بأنه بدعة مستحدثة لا أثر لها و لا امتداد لها عبر التاريخ و أنّها تعتبر إضافة للدّين الذي جاء به الحبيب المصطفى -صلوات الله و سلامه عليه. رحم الله الإمام البوصيري[2] الذي قال في قصيدته المشهورة "البردة":-

و قد تُنكِرُ العين نور الشّمس من رمدٍ
و قد يُنكر الفم طعم الماء من سقم

أخي القارئ الكريم: إنّ ما جاء في هذه الرّسالة القيّمة هو شفاءٌ لما في الصدور من وساوس و شكوك السائلين و دليل قاطع، فاقعٌ لونهُ لمن كان بصرهُ ضعيف و علمهُ خفيف؛ مصداقاً لقول الحقّ تعالى لبني إسرائيل لمّا أكثروا السؤال عن البقرة رغم بيان معالمها لدى الكبير والصغير:﴿إنّها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونُها تسُرّ الناظِرينَ (٦٩)[3]﴾.

---

[1] هذه الإفتتاحية للسيد الحاج بوعلام مقرمان، الذي وجّهت إليه الرسالة.

[2] جاء في كتاب "ثلاثية البردة - بردة الرسول صلى الله عليه وسلم" لحسن حسين، ج١، ص٤٩ (ناشر الكتاب: دار الكتب القطرية، الدوحة، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ) ما نصه: هو الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي الجد، الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. وقد أشار البوصيري إلى أصله فقال: أن كان مثلي مغربيا فما في صحبة الأجناس من بأس. وكان مولد البوصيري يوم الثلاثاء أول شوال عام ٦٠٨ هـ (١٢١٢ م) وبدأ حياته الدراسية كما كان يبدؤها معاصروه وذلك بحفظ القرآن الكريم ودراسة علوم الدين واللغة كالنحو والصرف والعروض، كما درس الأدب والتاريخ الإسلامي وبخاصة السيرة النبوية، ثم اتجه نحو التصوف فتلقى على يد أبي العباس المرسي الطريقة الصوفية، ودرس آدابها وأسرارها.

[3] جزء من الآية ٦٩ من سورة "البقرة".

حقاً هذه الصفحات القليلة في عددها، البسيطة في مفرداتها، المختصرة في كلامها مُنطوية على كلّ معاني التصوف الحقيقي جملةً و تفصيلاً و مزيلة لغمامات الشكوك المحيطة بفنّ التّصوف الإسلامي و كاشفة الغطاء على مواصفات التّصوف المجازي و رافعة لكلّ لبس بينهما، واضعة الخطوط الحمراء الفاصلة بين الحقّ و الباطل و موضّحة للمريد كيفية سلوك طريق القوم، مبيّنة له الباب الرئيسي الذي يدخل منه كلّ مريد و كذا الآداب و ضرورة مصاحبة الشيخ المربّي، العارف بربّه المؤهل للتربية. و ختاما لهذه الكلمة القصيرة حول ما جاء من أسرار و معاني في طيّات رسالة "الفرق بين التصوّف الحقيقي و التصوّف المجازي" لا أجد ما أقوله شكرا و تقديرا لشيخنا الكريم أحمد حبيب سوى هذه الأبيات راجيا من المولى القبول و أن يجمعنا معهم أينما حلوا أو إرتحلوا.

بدأت باسم الله ﷻ

بَدأْتُ باسمِ اللهِ و الحَمْدُ و الثنا
و أسْألُ مِنْ ألطافِه فهوَ أكرَمُ

و للمُصطفى الهادي أبُثُّ تحيّتي
أُصلّي عليهِ دائماً و أُسلِّمُ

و بعدُ فهذا الفضلُ من جودِ ربِّنا
يُبيّنُهُ للطالبينَ مُعلِّمُ

وَ أعني بِهِ أُستاذَنا أحمدَ الحبيبَ
عَنْ شيخِنا البوديلمي مُتمِّمُ

لَديهِ تَحلّى بالتصوفِ وَ انْبَرى
عَلى نَهجِ مَنْ يَهدي لِمَا هوَ أقوَمُ

رُويدَكَ يا مَنْ لَمْ يُتِحْ لَكَ عِلمُهُ
فَقَدْ فاتَكَ الخيرُ الكثيرُ وَ مَغنَمُ

فَهَذا الّذي في النّاسِ قَدْ بانَ نُورُهُ
وَ عَلَّمَ جُهّالاً فليتَكَ تَعْلَمُ

وَ مَجلِسُهُ وِرْدٌ لِعلمٍ وَ حِكمَةٍ
وَ مَنهَجُهُ للإعوجاجِ مُقوِّمُ

فإنْ شئتَ أنْ تُشفى بسرّ عُلومه ... فلازِمْهُ تحظى بالمَرامِ وَ تَنعَمْ

فما المَدحُ منّا في جميلِ صنيعه ... وَ لكنْ عِرفانُ الجميلِ مُحَتَّمْ

نصحتُكَ في اللهِ الكريمِ فَلُذْ به ... إذا كُنتَ للخيرِ العَميمِ تيمَّمْ

فإنْ نلتَ مِن مولاكَ من قُربِه الرِّضا ... فبالشُّكرِ للمَولى تُزادُ وَ تُكرَمْ

على المُصطفى والآلِ والصَّحبِ كُلِّهِمْ ... أُصلّي وَ أُثني بالسَّلامِ وَ أَختِمْ

أبو ظبي في ٢٧ ذو الحجة ١٤٢٣ الموافق لـ٢٧ فبراير ٢٠٠٣م

العبد الفقير إلى مولاه، بوعلام مقرمان.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أودع لطائف أسراره في قلوب العارفين وجعل البيان طريقًا لوصولها إلى المسترشدين وصلّى اللّهُ وسلم على سيدنا ومولانا محمد الأمين و على آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدّين.

من عبد ربه الحاج أحمد حبيب، خديم طريقة الإخوان الصوفية بالجمهورية الجزائرية و من معه من الإخوان في الله الذاكرين الشاكرين، صانهم الله و وفقهم إلى ما يحبه ويرضاه من صالح الأعمال وكريم الخصال-إنه ولي الامتنان، إلى طيّب النشأة، طاهر السريرة، الولي الصّالح سيدي بوعلام مقرمان و من يجتمع معه أو يتصل به من المؤمنين الطّيّبين ذوي الهِمَم العالية و النفوس الصّافية الزّكيّة، الرّاغبين في الانتماء إلى هذه الصفوة الصّافية-وهم جماعة الصوفية الذين استخلصهم الله لحضرة قدسه و خالص معرفته حتى صاروا كما وصفهم سيدي بومدين- رضي الله عنه-بقوله:-

يا فوز قومٍ باللّهِ فازوا ... فلم يروا في الورى سواهُ

قرّبهم منه فاجتباهم ... فنزّهوا الفكر في عُلاهُ

ليس لهم للسوى إلتفاتٌ ... كيف و قد شاهدوا سناهُ

سيدي أبو مدين الغوث.[1]

وجاء في وصفهم عن الإما م أبي حامد الغزالي-رضي الله عنه- حيث يقول في كتابه-"المنقذ من الضلال": " و انكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمورٌ لا يمكن إحصاؤها ولا استقصاؤها، و القدر الذي أذكره لينتفع به: إني علمت يقينا أنَّ الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، و أنَّ سيرهم أحسن السير، و طريقهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جُمِعَ عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليُغيّروا شيئًا من سيرهم و أخلاقهم ويبدلوه بما هو خيرٌ منه، لم يجدوا إليه سبيلا. فإن جميع حركاتهم و سكناتهم ،في ظاهرهم و باطنهم، مُقتَبسة من نور مشكاة النبوّة، و ليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نورٌ يستضاء به. و بالجملة فماذا يقول القائلون في طريقة، الطهارة هي أوّل شروطها، تطهير القلب بالكلية عمّا سوى الله تعالى، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة، استغراق القلب بالكلية في ذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله"[2]-انتهى كلام الشيخ أبو حامد-رضي الله عنه.

[1] أبو مَدْيَن شُعَيْبُ بنُ حُسَيْنٍ الأَنْدَلُسِيُّ: الزاهد، شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتوجت من عمل إشبيلية. جال وساح، واستوطن بجاية [الجزائر] مدة، ثم تلمسان [مدينة تاريخية في غرب الجزائر و قرب الحدود المغربية]. ذكره أبو الصبر السبتي وأبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني -: كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك. قال: وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمس مائة، وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه. قال محيي الدين ابن العربي: كان أبو مدين سلطان الوارثين، وكان جمال الحفاظ عبد الحق الأزدي قد آخاه ببجاية، فإذا دخل عليه، ويرى ما أيده الله به ظاهرا وباطنا، يجد في نفسه حالة سنية لم يكن يجدها قبل حضور مجلس أبي مدين، فيقول عند ذلك: هذا وارث على الحقيقة. قال محيي الدين: كان أبو مدين يقول: من علامات صدق المريد في بدايته انقطاعه عن الخلق، وفراره، ومن علامات صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامات صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق، فأما قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا فليس بمناقض لقول أبي مدين، فإن أبا مدين عنى رجوعهم إلى إرشاد الخلق، والله أعلم.نقلاً عن "سير أعلام النبلاء-الرسالة" للإمام و خاتمة الحفاظ و المحدث شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) (الناشر: دار الحديث- القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م). النبذة عن حياة سيدي أبي مدين الغوث-قدس الله سره-مذكورة في ج٢١، ص:٢١٩-"المكتبة الشاملة".

[2] "المنقذ من الضلال"، ج١، ص١٧٨-"المكتبة الشاملة". (تفاصيل الطبعة:المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود،الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر.

تساؤلات الإخوان عن التصوف:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحفظه ورعايته مادمتم لله ذاكرين شاكرين وبكتاب الله و سنة نبيّه -ﷺ- عاملين و مستمسكين، و على منهاج القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم سائرين، و الله مع الذين اتقوا و هم محسنون و هو يتولى الصّالحين. هذا و قد سبق لكم أن أخبرتمونا أنّ هناك إخوانًا صالحين يبحثون عن التصوف الحقيقي الصحيح، و يستفسرون في نفس الوقت عن كنه التصوف و ماهيته، وهل هو قديم أم محدث إلى آخر تساؤلاتهم -حفظهم الله جميعًا.

و نحن إن شاء الله نجيبهم باختصار و حسب ما يجود به الأوان، و الله المستعان و هو وليّ التوفيق. ونبدأ بحقيقة التصوف التي هي كُنْهُهُ و ما هيته. اعلموا أيها السادة الأفاضل، علّمكم الله من علمه اللّدني المكنون، إنّ حقيقة التصوف هي شيءٌ من وراء العقول و ذلك لأنها، أي حقيقة التصوف، أمرٌ ذوقي وجداني شهودي عِياني، يحصل للمؤمنين الطّيّبين أو لبعضهم من طريق محض الموهبة و الإلهام من الله الكريم المنان و لكن لا يكون هذا ولا يحصل إلّا بعد سلوك طريق المجاهدة و الرّياضة الروحية أو بعبارة أخرى، سلوك طريق التقرب و التحبّب إلى الله بما يحبُّه ويرضاه. ويشترط فيه صدق التوجُّه إلى الله وحسن الإقبال عليه كما بيّنَ ذلك الإمام أبو حامد الغزالي -رضي الله عنه- بقوله: "فعمدةُ الطريق أمران، الملازمة و المخالفة[1]. الملازمة لذكر الله تعالى و المخالفة لما يُشغِل عن الله. و هذا هو السفر إلى الله! وليس في هذا السفر مسافة تقطع؛ لا من جانب المسافر و لا من جانب المسافر إليه. و إنما مثل الطالب و المطلوب كمثل صورة حاضرة مع مرآة و لكن ليست تتجلى فيها، أي في المرآة، لصدءٍ في وجه المرآة. فمتى صقلها صاحبها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة إلى المرآة و لا بحركة المرآة إلى الصورة ولكن بزوال الحجاب. فإن الله متجلٍ بذاته على الدوام لا يختفي نوره و إنما خفاء النور عن الحدقة لأحد أمرين؛ إمّا لكدورة في الحدقة؛ و إمّا لضعف فيها إذ لا يطيق احتمال النور العظيم الباهر.

إذن فما على الرّاغبين في هذا الشأن الجسيم و الأمر العظيم إلاّ أن يُنقُّوا عن عين القلب كُدُورتَه و يُقوّوا حدقته حتى يحظوا أي ينالوا من الله حظا وافرًا من القرب و الأنس و الذوق و الشهود و العيان و الله كريمٌ وهّاب. و لتعميم النفع و الفائدة، نحيطكم علمًا أنّ التصوف في نظرنا، والله و رسوله أعلم، ينقسم إلى قسمين: حقيقي و مجازي. فالتصوف الحقيقي هو ذلك الصفاء الحقيقي الإلهي المحض

[1] "جواهر القرآن"، ج١، ص:٢٨- "المكتبة الشاملة"، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

المتدفق من حضرة القدس على القلوب الطاهرة و النفوس الطّيّبة النقيّة الراضية المرضية. و بعبارة أخرى، هو سرُّ التوحيد الخالص المستفاض من الأحدية بواسطة الحضرة الواحدية، حضرة الأسماء و الصفات و الأفعال. أو تقول بواسطة تجلٍّ إلهي خاص، بل هو سرُّ معرفة الله التي لأجلها خلق الله الإنس و الجن و خلق ما سواهما من الأكوان من أجل الإنسان؛ أعني الإنسان الكامل الذي قال في حقه الله جل جلاله في الحديث القدسي الصحيح حيث يقول: ۞ وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه[1] ۞ . فهذا العبد هو الصوفي حقا قد أماته الله عن نفسه و هواه و أحياه به له. كما قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا[2]﴾. فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يقتبس معناها الذي يشير إلى الصفاء الخالص من كل شوبٍ أو النور الشارق المحض الذي لم يخالطه غبش ولم يتكدّر بشيءٍ من الأغيار فهو باقٍ على أصلِه. و صاحبُ هذا المقام هو عبد الله حقًا وصدقًا في ظاهره و باطنه. مثله كمثل بيتٍ مُكَوّنٌ من الزجاج الشّفّاف الخالص فإنّه يتقبل النور على أصله فلا يشوبه بشيءٍ و لا يُكَدِّرُهُ بلونٍ فهو يتمتع بالنور في جميع أجزائه ظاهرًا و باطنًا و لا يرى في ذلك لنفسه مزية. بل إنه يرى جميع ما لديه من النعيم و الفضل هو من عند الله الخالق سبحانه و تعالى و هو باقي له على الدوام. فلم يدّعِ شيئًا من ذلك لنفسه و لا مازجه بوصف من أوصاف نفسه و ما ذلك إلا لصفاء و خلوص مادته، أي عبوديته من المساوىء و الأغيار. فلو كان للزجاج وصف أو لون غير أصله لتقبّلَ النور ذلك الوصف أو اللون ثم ينعته بأحدِ الألوان أو الأوصاف فيقول العبد على سبيل المثال: إنّ النور أخضر أو أصفر وقس على ذلك من الألوان و النعوت. و من هنا يظهر الفرق الواضح و الفصل الكبير بين القائم من العباد بربّه والقائم بنفسه، أو بين الذي ينظر بنور ربّه و الذي ينظر بنور نفسه و أنانيته. و لمزيد الوضوح و البيان نضرب مثلا و ذلك كمثل رجلين جنّ عليهما الليل و لدى كل واحد سراجه و أخذ كل منهما يستنير بنور سراجه. فأحدهما سلك الطريق وجدّ في السير حتى أشرقت عليه الشمس بنورها ليس دونها سحاب ولا ضباب و لا سراب فصار يرى بنور الشمس لا بنور المصباح

[1] صحيح البخاري، ج٥، ص:٢٣٨٥، رقم الحديث: ٦١٣٧-راجع "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". والحديث المذكور أعلاه هو جزء من الحديث الذي ذكره البخاري في صحيحه. نص الحديث كاملا: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته -كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".

[2] جزء من الآية ١٢٢- "الأنعام".

و ذلك طمعًا مع بقاء للصباح متوقفًا، و الآخر قد تخاذل وتقاعس عن السير فلم يبرح من مكانه و لم يخرج من ظلمات جهله وغفلته، فلم يزل غارقًا في أحلامه متغافلا عما يُراد به مع أن الله تعالى يخاطب عباده المؤمنين و يناديهم في كل وقت و حين ليخرجهم من الظلمات إلى النور إذ يقول:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[1]. و من خلال ما ذكرناه من توضيح و بيان حول حقيقة التصوف؛ و قد أوردنا في ذلك آيات بينات من الذكر الحكيم و أحاديث قدسية صحيحة و كذا كلام العلماء العاملين الذين هم مصابيح الهدى من سلف صالح هذه الأمة. و المراد من ذلك كله إزالة الغبار و الوهم المخيّم على بعض العقول التي لم تحرّر من قبضة المنقول. و أعني بالمنقول هنا، كل المعلومات و الأفكار و الآراء التي لم تصدر من مصدر صحيح و سليم، فللمصدر الصحيح هو كتاب الله و سنة رسول الله-ﷺ-و هو الفهم السليم في الكتاب و السنة المطهرة، الخالص من الحظوظ و الأغراض و الدوافع النفسية التافهة؛ و إلا فهو وبال على صاحبه.

أهمية طهارة القلوب:

أمّا أهل الحق الصدّيقون من سلف هذه الأمة و خلَفُهم فقد تفطّنوا في أوّل أمرهم إلى ركن عظيم و أدركوا أنّ سعادتهم منوطة به فجعلوه أساسًا وبنوا عليه أمرهم؛ ألا و هو صلاح القلوب! فأخذوا في تطهيرها و إصلاحها و بذلوا قصارى جهدهم في صيانة قلوبهم و أفرغوا كل اهتماماتهم في تنقيتها ممّا حرّمه الله و نهى عنه ثم صانوها عن الإلتفات إلى غير مقصودهم و عن الخوض فيما لا يعنيهم و عن الإشتغال بغير معبودهم سبحانه و تعالى معتمدين في ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾[2]. و كذا قوله-ﷺ-في الحديث الصحيح: «ألا و إنّ في الجسد مُضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله-ألا و هي القلب[3]».لقد علموا

[1] الأحزاب.

[2] الشعراء.

[3] جزء من حديث صحيح -"صحيح البخاري"، ج١، ص٢٩، حديث رقم الحديث:٥٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عامر قال سمعت النعمان بن بشير يقول سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول:" الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبّهات لا يعلمها كثير من الناس! فمن اتقى المشبّهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه؛ ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في

يقينًا من خلال هذه الآية و هذا الحديث أنّ الأعمال الصالحة بكل أنواعها لا تنفع صاحبها ولا تنقذه من الهلاك و لا ترتقي به ارتقاء السعداء من المؤمنين الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون إذا لم تكن صادرة من قلبٍ صالح وسليم. كما أنهم أدركوا أيضًا أنّ التظاهر بالصلاح وبأزياء الصّالحين مع فساد القلوب و سقمها، غرور بالله واستدراج و مكر خفي، أعاذنا الله و المسلمين من شر ذلك. وهذا الأخير هو الذي يسمى بالتصوف المظهري أو المجازي و أهله يُسمّون المتصوفة؛ هم واقفون مع الأكوان لم يرحلوا بقلوبهم إلى حضرة خالقهم و رازقهم جلّ جلالُه. فهم يتنقلون بينها من كون إلى كون لا تتجاوز و لا تتعدى هِمَمُهم وإراداتهم حدّ المخلوقات؛ فقلوبهم مشحونة بصور الكائنات. و من كان قلبه مملوءا بالمكونات يتعذر شروق الأنوار عليه كما أشار إلى ذلك ابن عطاء الله[1] -رضي الله عنه- بقوله:- "كيف يشرق بالأنوار قلبٌ صُوَرُ الأكوان مُنطبعة في مرآته". و معنى كلام الحكيم-رضي الله عنه- هو أنّ ظواهر الأكوان ظلمات و الركون إليها غرور كما أبانه في حكمة أخرى بقوله: "ظاهر الأكوان ظلمة، و باطنها نور، ظاهرها غرّة، و باطنها عبرة." و لا يركن إلى ظاهرها إلاّ أحمق لا عقل له، كما جاء في محكم التنزيل مشيرًا إلى التأمل و الاعتبار في معنى السماوات و الأرض و ما فيهن من المخلوقات، قوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]. و في آية أخرى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[3]؛ يعني يا أولي البصائر و النُّهى، أي العقول السليمة، و هكذا عاش الصالحون من عباد الله المؤمنين مع الله بآياته في سائر مخلوقاته في أرضه و سماواته و ذلك بعد ما وصلوا إلى معرفته بإذنه و مشيئته إذ دلهم أوّلًا على طريق الوصول و كيفية سلوكه فقال عزّ من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ

أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله-ألا وهي القلب".

[1] ابن عَطاء الله الإسْكَنْدَري: (المتوفى: ٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م). أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عَطاء الله الإسكندري: من العلماء [الملقب بحكيم الصوفية]. له تصانيف؛ منها "الحكم العطائية" في التصوف؛ و"تاج العروس" في الوصايا والعظات؛ و"لطائف المنن في مناقب المرسي وأبي الحسن" توفي بالقاهرة-نقلاً عن "الأعلام للزركلي" بتصرف بسيط.

[2] جزء من الآية ١٠١ من سورة "يونس".

[3] جزء من الآية ٢من سورة "الحشر".

وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[1]. ثم أبان لهم آيات وجوده و كشف لهم عن أسرار ذاته العالية المنزهة عمّا يصفون فقال جلّ من قائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2]. فلما عرفوا الحق في كل شيء قالوا: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾[3]. كما أخبر بذلك عز و جلّ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ (١٩١)﴾[4]- إن شاء الله التصوف الحقيقي -وهو في مفهومنا؛ ذلك الصفاء الإلهي الذي وصل إليه الصوفية- رضي الله عنهم- بعد تطهير قلوبهم و تصفية نفوسهم وتزكية سرائرهم. أو تقول ما وصلوا إليه من المشاهدة في حضرة قربه و الأنس به حيث أحيا قلوبهم بنور معرفته فعرفوه حق معرفته و قالوا بلسان الحال و المقال:-

فالكل ما دون الله إنْ حققته	عدمٌ على التفصيل و الإجمال
و اعلم بأنك و العوالم كلها	لولاه في محوٍ و اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته	فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا و لمّا يشهدوا	شيئًا سوى المتكبر المتعال
و رأوا سواه على الحقيقة هالكا	في الحال و الماضي و الاستقبال[5]

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[6]- و الإشارة في هذه الآية إلى حال العارف بالله فإنه هالك

---

[1] الأحزاب.

[2] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[3] من الآية ١٩١ من سورة "آل عمران".

[4] نص الآية أعلاه.

[5] من قصيدة لأبي مدين شعيب بن حسين الأندلسي -قدس الله سره. (تقدم ذكر نبذة خفيفة عن الشيخ أبي مدين- رضي الله عنه.)

[6] جزء من الآية ٨٨-سورة "القصص".

و ميّتٌ بنفسه على الدوام و في نفس الوقت هو حيٌّ بربه على الدّوام-إلاّ أن يشاء الله أمرًا؛ فما شاء الله كان! و من صفات العارف بالله؛ أن يكون دائم الشعور بمعية الله المطلقة المنزهة عمّا لا يليق بجلاله تبارك و تعالى-و الشعور إذا قوي يصير حضورًا وغيبة عمّا سوى المذكور كما وصفه ابن عطاء الله-رضي الله عنه- إذ يقول: " و لا يكون مع غير الله قراره" . و هنا لا مانع أن تقول: "الصوفي هو العارف بالله، و التصوف هو المعرفة بالله". أو الصوفي؛ هو: "العالِم بالله عزّ و جلّ الملهم، و التصوف هو الإلهام".

من تعريفات السلف للتصوف و الصوفي:

و أما التعريفات التي وردت لتعريف الصوفي؛ فإنها تنقسم إلى قسمين:-

أ) اجتهادي قياسي مثل قول من قال أن الصوفي مشتق من الصوف، وكذا من قال مشتقّ من الصف الأوّل في الصلاة. كذلك من قال من الصُّفة و هي مكان في المسجد النبوي الشريف كان يجلس فيه فقراء المسلمين المتجرّدين للعبادة و الجهاد على عهد رسول الله-ﷺ. و في اللغة صُفّة المسجد هي مقعد بالقرب منه مُظلّل و الصُّفة تطلق أيضًا على بيت الضيوف و هذه التعاريف كلها صحيحة في المعنى .أما الاشتقاق اللغوي فلا؛ لأنّ هذا الإسم -"الصوفي"- ليس له إشتقاق لغوي.

ب) و أما القسم الثاني فهو تعريف ذوقي وجداني، صادر عن قلوب طاهرة و سرائر صافية و أحوال عطرة زكية. أو تقول هو تعبير حيٌّ صادق عمّا وصل إليه الصّالحون من عباد الله المؤمنين. و إن شئت قلت هو تعبيرٌ عن حياة القلوب في حضرة علاّم الغيوب حيث الرّوح و الرّيحان و الأُنس و الاطمئنان و جنة النّعيم، أي التنعم و التلذذ بقرب المحبوب المعبود. و أعني بجنة النعيم هنا جنة المعارف المعجلة للعارفين بالله تعالى و لكنهم لا يدخلونها إلا بعد الموت الأصغر كما جاء في الخبر الصحيح: "موتوا قبل أن تموتوا[1]" .

و ها هي أقوال العلماء بالله و الأئمة الرّبانيين مِمّن شهد لهم جمهور المسلمين بالفضل و التمكين في

---

[1] هذا القول ذكره العديد من أهل العلم و لكن قال فيه الحافظ إبن حجر أنه غير ثابت. و قال القاري هو من كلام الصوفية. انظر "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢ هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي - القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ. النص مذكور في ج٢، ص٣٥٠-موسوعة "المكتبة الشاملة" الرقمية.

سائر شؤون الدّين عن ماهية التصوف؛ فمنهم الإمام أبو القاسم الجنيد البغدادي[1]–رضي الله عنه– لمّا سُئِل عن التصوف؛ فقال: "التصوف أن يميتك الحق عنك و يحييك به"، و قال أيضًا: "أن تكون مع الله بلا علاقة".
و سئل أبو محمد الجريري[2] –رحمه الله– عن التصوف فقال: "الدخول في كل خلقٍ سَنِي، و الخروج من كل خلقٍ دني[3]"، و سئل محمد بن علي القصاب[4] و هو أستاذ الجنيد –رحمهما الله– فقال: "أخلاق كريمة ظهرت في

[1] الجُنَيد البغدادي (المتوفى ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م): الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند و كان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه والشعراء لفصاحته والمتكلمون لمعانيه. وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. وقال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصونا من العقائد الذميمة، محميّ الأساس من شُبه الغلاة، سالما من كل ما يوجب اعتراض الشرع. من كلامه: "طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة"، "من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به". له رسائل منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، ومسائل أخرى. إنتهى بتصرف بسيط، نقلا عن: "الأعلام للزركلي".

[2] الجريري: شيخ الصوفية، أبو محمد الجريري الزاهد. قيل: اسمه أحمد بن محمد بن حسين وقيل: عبد الله بن يحيى، وقيل: حسن بن محمد. لقي السري السقطي والكبار، ورافق الجنيد، وكان الجنيد يتأدب معه، وإذا تكلم في شيء من الحقائق، قال: هذا من بابة أبي محمد. فلما توفي الجنيد، أجلسوه مكانه، وأخذوا عنه آداب القوم. نقلا بتصرف بسيط عن "سير أعلام النبلاء"، ج١١، ص:٢٨٦، المؤلف: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

[3] جاء في "الرسالة القشيرية"، ج٢، ص:٤٤١ ما نصه: سمعت محمد بن أحمد بن يحي الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: سئل أبو محمد الجريري عن أبو محمد الجريري عن التصوف فقال: الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني...... سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمداني يقول: سمعت أبا محمد المرعشي يقول سئل شيخي عن التصوف فقال: سمعت الجنيدي وقد سئل عنه فقال: هو أن يميتك الحق عنك و يحييك به.إنتهى بتصرف بسيط. (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[4] جاء في "تاريخ بغداد"، ج٤، ص: ١٠٣-الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشملة" ، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر:- دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦- ما نصه: محمد بن علي أبو جعفر القصاب الصوفي، أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري، قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال: محمد بن علي القصاب البغدادي، وكان أستاذ الجنيد...قال: حدثنا ابن قانع أن أبا جعفر القصاب مات في سنة خمس وسبعين ومائتين. إنتهى بتصرف.

زمانٍ كريمٍ من رجلٍ كريمٍ مع قومٍ كرامٍ[1]". و سئل ذو النون المصري[2]–رحمه الله– فقال: "هم قومٌ آثروا الله على كل شيءٍ فآثرهم الله على كل شيءٍ". و قال أبو الفتح البستي رحمه الله: "تخالف النّاس في الصوفي و اختلفوا جهلا و ظنوا أنه مشتق من الصوف، و لست أمنح هذا الإسم إلاّ فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي[3]".

و الخلاصة أن هذه الأقوال كلها تشير إلى معنى واحد و تنصَبُّ في مصب واحد ألا وهو صفاءُ القلوب و السرائر من كلِ شيءٍ لا يرضاه علاّمُ الغيوب في جميع مجالات الحياة. و يكفيهم عزًّا و كرامةً أنّ مدحهم الله جلّ جلاله بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ[4]﴾. و السر في كونهم رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله هو الصفاء، أي صفاء القلوب و النفوس من شوائبِ المساوئ و الأغيار. و معنى الغير و السوى هنا؛ هو كل شيءٍ يصدر من المخلوق و قد تحوّل و تبدل و انتقل من الصلاح إلى الفساد حتى صار مخالفا لطبعه. و مثل ذلك كمثل الماء الطّهور إذا اختلط بغيره من المواد فإنه يتبدل و يتغير فيخرج عن طهوريته حتى يصير غير طهور. فكذلك ماء الحياة في القلوب الطاهرة العطرة فهو طهور باقٍ على أصله. و أما القلوب القذرة فماء الحياة فيها قد يتعفّن و يتنجّس حتّى يخرج عن أصله الطهور فيصيرُ غيرًا من الأغيار؛ مع أن الأصل في

[1] "الرسالة القشيرية"، ج٢، ص:٤٤١.(نفس المرجع أعلاه؛ رقم "٢".)

[2] ذو النون المصري : ثوبان بن ابراهيم الاخميمى أبو الفيض ذو النون المصرى الصوفي؛ توفي سنة ٢٤٥ خمس وأربعين ومائتين–نقلا بتصرف بسيط عن "هدية العارفين"، ج١، ص:٢٤٩. الكتاب: "هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٢؛ الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".

[3] "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، ج١، ص: ٥٠، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: ٤. (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[4] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

ماء الحياة واحد كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]. ثم فرّق سبحانه و تعالى بين المصدرين، أي مصدري الحياة، و هما عبارة عن قلبين إثنين أحدهما طاهر طيِّب فماء حياته باقٍ على أصله كما قال تعالى فيه: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾[2]. و هذا مثل للمؤمن الصالح القائم بربه لا بنفسه الذي قال فيه جلّ جلاله في الحديث القدسي الصحيح: ﴿كنت سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به﴾[3]. و أما القلب الآخر فهو الوعاء القذر الخبيث فماء حياته قد تغيّر عن أصله و خرج من وصفه و نعته وصار غير أهل، أي فقد أهليته فسُمّي غيرًا. فمثله مثل الرجل الظالم القائم بنفسه وهواه؛ و في مثل هذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[4]. و ضُرب هذا المثال للقلوب. فالبلد الطيِّب هو مثل للقلوب السليمة و الذي خبُث هو مثل للقلوب السقيمة الوسخة. أو تقول التي فيها صلاحٌ و طلاح أو فيها طاعة و معصية، أو فيها إيمانٌ و نفاق. أعني النفاق العملي، لا النفاق العقائدي. فإنّ النفاق العقائدي كفرٌ و أصحابه هم الكافرون كما جاء في الحديث الشريف في تقسيم القلوب إلى أربعة أصناف؛ عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره وأما القلب الأغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه﴾؛ و هذا الوصف الأخير هو الذي تنطوي عليه معظم قلوب المخلوقات. نسأل الله العلي القدير السلامة و العافية لنا و لإخواننا و لصالح المؤمنين.

---

[1] جزء من الآية ٣٠ من سورة "الأنبياء".

[2] جزء من الآية ٥٨ من سورة "الأعراف".

[3] سبق تخريجه.

[4] جزء من الآية ٥٨ من سورة "الأعراف".

هل التصوف محدث؟

و أما تساؤلات المحبين عن التصوف-حفظهم الله و رعاهم-إذ يسألون عن التصوف أهو قديمٌ أو مُحْدَثٌ؛ فالجوابُ عن هذا التساؤل يكون إن شاء الله من ناحيتين:-

الناحية الأولى:-

- و هي مُسمّى التصوف أو معناه من حيث أنه أخلاقٌ كريمة و آدابٌ ربّانية سامية و أحوالٌ إلهية صافية بهية، و أعمال صالحة ليس فيها سوى وجه الله الكريم و سلوك سليم أساسه شعور القلوب بمعية علام الغيوب، المعيّة المطلقة، المنزهة عمّا لا يليق بجلاله و عظمته وكمال صفاته سبحانه وتعالى. وقس على ذلك مما تتمتع به و تتنعم به قلوب و أرواح عباد الرحمن من أسرار التوحيد و أنوار الإيمان و فيوضات الإحسان و روح الصدق و الإخلاص اللذان هما قوام العمل الصّالح و عماده كما قال أحد العلماء بالله-رضي الله عنه-: "الأعمال صورٌ قائمة، و أرواحها وجود سرُّ الإخلاص فيها[1]". و كما جاء في الحديث القدسي الذي يقول فيه مولانا: "الإخلاص سِرٌّ من أسراري أضعه في قلبِ من أحببته من عبادي[2]".

---

[1] انظر كتاب: "الحكم العطائية-شرح و تحليل"، ص:١٤٩. بطاقة الكتاب: المؤلف؛ الدكتور محمد سعيد البوطي، الجزء الأول، التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية-دمشق.

[2] جاء في "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، ج٤، ص١٢٤ ما يشابه هذا الحديث-(انظر؛ "موسوعة الحديث الرقيمة-إسلام ويب") ما نصه: "قال الله الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده". و جاء في "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)-المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ ج٢، ص١٩٣ ما نصه: " الإخلاص سر من أسرار الله، يُودعه قلب من أحب من عباده، وهو إخلاص العبودية لله وحده، ولا يتحقق ذلك للعبد إلا بعد تحرره من رق الهوى وخروجه من سجن وجود نفسه، وهذا شيء عزيز......وقال الشيخ أبو طالب المكي-رضي الله عنه: الإخلاص عند المخلصين: - إخراج الخلق من معاملة الخالق، وأول الخلق: النفس، والإخلاص عند المحبين: ألا يعمل عملاً لأجل النفس، وألّا يدخل عليه مطالعة العوض، أو تشوف إلى حظ طبع، والإخلاص عند الموحدين: خروج الخلق من النظر إليهم، أي: - لا يرون مع الله غيره في الأفعال، وترك السكون إليهم، والاستراحة إليهم في الأحوال". إنتهى بتصرف بسيط.

فالتصوف من هذا الباب و من هذه الناحية؛ معناه قديم، يعود ظهوره إلى وقت النشأة الإنسانية-أي منذ خلق الله آدم عليه السلام-و هو الصفاء الإلهي الذي كان عليه المصطفون من أنبياء و مرسلين-عليهم أفضل الصلاة و أزكى التسليم-و كذا الأولياء و الصّالحين-رضي الله عنهم أجمعين- و ذلك باقي إلى يوم الدّين و قد أتمّ الله تعالى هذا الصفاء لأمة الإسلام فكانت خير أمّة أُخرجت للنّاس. و ما ذلك إلاّ تشريفًا و تكريمًا لسيّد الأنام- سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم-إلى يوم الدّين فقال تعالى:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾[1]. وكان صلى الله عليه وسلم خُلُقُه القرآن. و أمّا الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- الذين هم المصطفون الأخيار بعد الأنبياء و المرسلين، لاشكّ أنهم كانوا يتمتعون بأوفر حظ من أخلاق النبوّة و ما فيها من أسرار القرآن و معانيه و علومه و معارفه العالية المستوى. و قس على ذلك من أصناف الحياة الفاخرة الكريمة و ما هي إلا حياة الإيمان الحقيقي في رحاب القرآن الكريم ضمن قوله تعالى:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2].

و هكذا يبقى هذا السر و هذا الصفاء متوارثًا، أي يرثه خلفٌ عن سَلَفٍ إلى يوم الدّين مصداقًا لقوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)﴾[3].

و لا يزال حكم هذه الآية: "وآخرين منهم لما يلحقوا بهم" ساري المفعول إلى أن يرثَ الله الأرض و من عليها.

و الحكمة هنا هي الفهم في كتاب الله عزّ وجلّ و هي من العلم الموهوب، و هي لا تكتسب بالدارسة و الحفظ و إنّما تُدرك بمحض الإلهام من الله جلّ جلاله؛ و إليها الإشارة في الآية الكريمة التالية:-

[1] القلم.

[2] جزء من الآية ٤ من سورة "الحديد".

[3] الجمعة.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)﴾[1].

الناحية الثانية:-

- هل كان إسم الصوفي موجودًا في صدر السّلف الصّالح و في زمان الصحابة-رضي الله عنهم أجمعين؟

نعم كان هذا الإسم يُعرَفُ في ذلك الوقت و كان يُنسَبُ إليه أهل الفضل و الصّلاح و ذلك لِمَا رُوي عن الحسن البصري[2]-رضي الله عنه-أنه قال:" رأيتُ صوفيًا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه-و قال معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي"[3]. و كان الحسن البصري من أوائل التابعين و قد أدرك جماعة كبيرة من أصحاب رسول الله-صلى الله عليه و سلم و رضي

[1] البقرة.

[2] الحسن البَصْري (٢١ - ١١٠ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٨ م). الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب-رضي الله عنه، واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة. وعظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة. وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. وكان غاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه. وله مع الحجاج ابن يوسف مواقف، وقد سلم من أذاه. ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعوانا يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله. أخباره كثيرة، وله كلمات سائرة وكتاب في"فضائل مكة" بالأزهرية. توفي بالبصرة. نقلاً عن "الأعلام للزركلي".

[3] ذكر إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)-رحمه الله- في كتابه "التصوف:-المنشأ و المصدر" ج١، ص:٢٩-و الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة"-ما نصه:- "ونقل عن الحسن البصري-رحمة الله عليه- أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي! ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء. وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية-"عوارف المعارف" للسهروردي عبد القاهر بن عبد الله، ص ٥٩ إلى ٦٣ ؛ طبعة:دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ. بطاقة الكتاب: "التصوف: المنشأ و المصدر"؛ الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

عن صحابته. و روي عن سفيان الثوري[1]-رضي الله عنه- أنه قال: "لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء". و قد ذكر في كتاب "أخبار مكة" عن محمد بن إسحاق بن يسار و عن غيره: "أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، و كان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت و ينصرف[2]". و الحسن البصري و سفيان الثوري هما حجة على أنّ هذا الإسم كان موجودًا في وقتهم. انتهى -و الله و رسوله أعلم.

اتخاذ الشيخ لسلوك طريق الله ورسوله:

و أما التساؤل حول اتخاذ الشيخ في طريق التصوف إلى آخره؛ هذا السؤال في الحقيقة لا يصدر إلّا من قبل غبي غافل لا ذكاء ولا فطنة له، أو ليس له إطلاع على سنن الحياة و مكانة المربي و المعلم في المجتمع وإعداد الإنسان و تأهيله للمراتب السامية و المستويات الرفيعة العالية. و قد جرت سنة الله في خلقه أن لا يوصّل أحدٌ إلى هذه المنازل إلا بالصحبة و التربية؛ و اتخاذ المعلم المرشد في هذا الشأن ضروري لابدّ منه.

دور شيخ التربية و مهامه:

و أمّا السؤال عن دور الشيخ و مهامه في الطريق فهو سؤالٌ في محله -ونجيب عن هذا الأخير بالتالي. نقول، وبالله التوفيق و هو الهادي إلى سواء الطريق، الشيخ هو المعلم، المرشد و المربي، المؤهّل لمقام التربية الحقيقية، لا الظاهرية الظهرية. و ذلك لأنّ تربية الظاهر تبلى و تتغير في أسرع وقت و كما أنه لا يصلح ظاهر الإنسان إلا بإصلاح قلبه؛ فإنه لا تصلح تربية ظاهره إلا بتربية باطنه. و الشيخ المربي المؤهل من قبل الله تعالى هو الذي أمدّه الله بسرّ التربية بعد أن طهّره من نزغات الشيطان و النفس

---

[1] سفيان الثوري-٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من مضر، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة، و راوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى. وخرج من الكوفة-سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب "الجامع الكبير" و "الجامع الصغير"، كلاهما في الحديث، وكتاب في "الفرائض" وكان آية في الحفظ. من كلامه-رضي الله عنه: ما حفظت شيئا فنسيته. و لابن الجوزي كتاب في مناقبه" (١) "دول الإسلام"-١: ٨٤؛ "وابن النديم"-١: ٢٢٥؛ و"ابن خلكان"-١: ٢١٠؛ و"الجواهر المضية"-١: ٢٥٠؛ و"طبقات ابن سعد"-٦: ٢٥٧؛ و"المعارف"-٢١٧؛ و"حلية الأولياء"-٦: ٣٥٦ ثم ٧: ٣؛ و"تهذيب التهذيب"-٤: ١١١-١١٥؛ و"ذيل المذيل"-١٠٥؛ و"تاريخ بغداد"-٩: ١٥١؛ و"صيد الخاطر" ١٧٥. إنتهى-نقلاً عن "الأعلام للزركلي".

[2] انظر: التصوف: "المنشأ و المصادر"، ج١، ص:٤١. المؤلف: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى سنة ١٤٠٧هـ)، الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

و الهوى و من الحظوظ و الأغراض و الأطماع التافهة. و من خلال هذا يكون الشيخ المربي مَظهرًا من مظاهر الخير و الصّلاح و النفع الخاص و العام. و قد يُستحبّ السّفر إليه من أجل صحبته و الأخذ عنه كما يجب احترامه و تبجيله و التأدّب معه. و هذا كله مقتبسٌ من قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر -عليهما و على نبينا الصلاة و السلام- حيث سافر إليه ليأخذ عنه. و في الأخذ عنه قال له بكل أدب و احترام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[1]. و الإتباع هنا معناه الصحبة. وبعدما قبِلَه و رضِيَه لصحبته، علّمهُ الآداب المطلوبة في الصحبة؛ فقال له: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[2] ومعنى لا تسألني: لا تعترض عليّ في شيء إلى آخر القصة و في نهاية المطاف، لم يأخذ عنه شيئًا و ذلك لأمور شتّى أذكر البعض منها على سبيل المثال:-

- **الأمر الأول:** أنّ في القصة عتاب خفيف لسيدنا موسى-عليه السلام- حيث سُئل هل يوجد أحدٌ هو أعلم منك؛ فقال لا. و لم يَرُدّ العلم إلى الله عز و جل فأوحى الله إليه أنّ هناك عَبْدًا من عبادنا علمناه من لدُنا علمًا. و في نفس الأمر زجرٌ و توبيخ أجراهما الله تعالى على سيدنا موسى، وهما مُوجهانِ إلى كافة عباد الله المؤمنين حتى لا يدّعوا شيئًا هو لسيّدهم.

- **الأمر الثاني:** أنّ الهدف من القصة هو إظهار فضل و شرف سِرّ الولاية و يُسمى بالعلم اللّدُني و الموهوب و علم القلوب و علم الباطن. و هذه الأسامي كلها وردت في الكتاب و السنة الصحيحة.

- **الأمر الثالث:** فيه مشروعية السفر إلى أهل هذا العلم لأجل الأخذ عنهم. و فيه أيضًا تعليم كيفية الصحبة و الآداب المطلوبة في هذا الشأن.

- **الأمرالرابع:** هو أن الحكمة في عدم أخذ سيدنا موسى من الخضر-عليهما السلام- لفضل مقام النبوة على مقام الولاية؛ ذلك لأن النبوة تتضمن الولاية، أي تشتمل عليها؛ فهي داخلة فيها. فالولي يأخذ عن النبي و النبي لا يأخذ عن الولي. و أما إنكار سيّدنا موسى على سيدنا الخضر-عليهما السلام- فذلك لأنه مُشرّع و لو أقرّ بذلك لانتهز الفرصة شرار بني إسرائيل فادّعوْا علم

---

[1] من الآية ٦٦ من سورة "الكهف".

[2] جزء من الآية ٧٠ من سورة "الكهف".

الغيب و سعوا في الأرض فسادًا و قتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق. فكان إنكار سيِّدنا موسى -عليه السلام- سدًا و قطعًا لذريعة الفساد. و في نهاية القصّة أخبره عن الحقيقة و هي أن جميع الذي جرى بينهما كان بأمر من الله لحكمة أرادها؛ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

إنكار المعرضين في زماننا عن الصوفية:

أما إنكار بعض المنكرين في زماننا هذا؛ فإنه قد يقع منهم ذلك الإنكار إمّا لجهلهم بالله وبأسرار و حقائق الإيمان و التوحيد؛ فينطبق عليهم القول المشهور: "من جهل شيئًا أنكره بل عاداه"، و إمّا حسدًا من عند أنفسهم كما قال الله تعالى: ﴿حَسَدًا مِنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1]، و إمّا لظهور بعض الفرق و الطوائف المخالفة للشريعة المطهرة و هم ينسبون أنفسهم إلى التصوف. و التصوف في الحقيقة بريءٌ منهم كل البراءة. و هذا الأخير لا يبرّر لهم عملهم ذلك لأن الإنكار المبني على الوهم و الظن قد يكون جحودًا للحق و ردًّا له. فالواجب المطلوب هنا هو التحقق و التبيّن حتى يتّضح الحق من الباطل عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾[2]. اللّهم أرنا الحق حقًّا و أرزقنا إتباعه، و أرنا الباطل باطلاً و أرزقنا إجتنابه -إنك بالإجابة جدير، يا نعم المولى، و يا نعم النصير.

خاتمة:

و لنكتفي بهذا القدر الوجيز وقد تطرقنا فيه إلى عدة مواضيع هامة و أعتقد أنها من قضايا الساعة لرفع بعض الإلتباس عن عقول و أفكار بعض الناس حتى ينظروا إلى التصوف من وجهه الحقيقي و يدخلوا إليه من بابه المعلوم و لا يتسلقون الجدران فيدخلون البيوت من ظهورها. كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(1) جزء من الآية ١٠٩ من سورة البقرة.

(2) الحجرات.

(3) جزء من الآية ١٨٩ من سورة "البقرة".

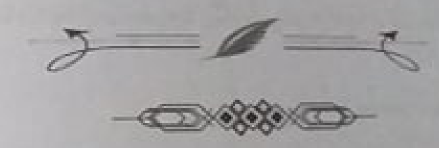
و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته و أعانكم الله على ذكره و شكره و حسن عبادته و فتح عليكم بكل خير إنه على كل شيءٍ قدير.

حررت الرسالة في شهر شوال ١٤٢٣هجرية الموافق لـ ديسمبر ٢٠٠٢ميلادية.

أخوكم في الله، الحاج احمد حبيب.

الْبَابُ الرَّابِعُ:

التصوف الإسلامي: مقام الإحسان



بسم الله الرحمن الرحيم

و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب، و صلى الله على سيدنا محمد الصادق الأمين، الهادي إلى صراط الله المستقيم، و على آله و صحبه و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربّه أحمد حبيب، وفقه الله و ثبّت على الخير خطاه، إلى كافة إخواننا لله و في الله، جماعة الإخوان الصوفية الذاكرين الشاكرين في جميع أنحاء المعمورة، صانكم الله و وقاكم من شرّ جميع الفتن ما ظهر منها و ما بطن، إنه ولي المؤمنين و هو يتولى الصالحين، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

و بعد-إخواني الأعزاء، اعلموا علمكم الله و فقهكم في الدين، أن طريقة الإخوان الصوفية، التي نحن و إياكم عليها، هي في جميع أعمالها الظاهرة و الباطنة مقيّدة بكتاب الله عز و جل و سنّة رسول الله-ﷺ؛ و على هذا، فإن كل من خرج عن الكتاب و السنّة فهو عاصٍ لله تبارك و تعالى، و ليس من التصوف في شيء، و إنّه يجب عليه أن يتوبَ إلى الله فورًا، و تاب الله على من تاب. فالطريقة إذن هي في حصن أمين محفوظةً بإذن الله من البدع و الابتداع و أعني بالبدع و الابتداع كلّ عمل أو سلوك أو فكر أو رأي يخالف الشّرع الكريم، و لست أعني إطلاقا ما أحدث من الخير غير المخالف للكتاب و السّنة المندرج ضمن قوله-ﷺ-: "من سنّ في الإسلام سنةً حسنةً فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم الدّين[1]".

و نعوذ بالله من شرّ قوم بالغوا في ذكر البدعة و وصفها حتى عمّموها و أطلقوها على صالح الأعمال و فضائل الأعمال التي لا تناسب أغراضهم النفسانية و أساليبهم الخلافية المشوبة بالعصبية. و لْنعُدْ إلى الحديث عن التصوّف و طريقة الأصفياء؛ فنقول: و أما السلوك الصوفي فهو عبارة عن التوجه الصحيح إلى الله و الإقبال عليه بأزكى الأعمال و أحبّها إليه مع مجاهدة النّفس في حالات عديدة مثل العُجب و الرّياء و التكاسُل عن العمل و التماطل و التسويف و قِسْ على ذلك مما تميل إليه النّفس و تسكن؛ فإن هذه الأعمال الجهادية تكون في البداية للتطهير و التصفية

---

[1] "سنن ابن ماجة"، ج١، ص٧٤، رقم الحديث:٧٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن المنذر بن جرير عن أبيه قال، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم:" من سن سنة حسنة فَعُمِل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة سيئة فَعُمِلَ بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، لا ينقص من أوزارهم شيئا".

ثم تصيرُ أعمالاً للتقرُّب من الله جلّ جلاله و استلهام الأحوال الزكيّة و التعرُّض للنفحات الإلهية.

و لقد حثّ الله عباده المؤمنين الصادقين على الاستعداد و التعرّض لنفحاته على لسان نبيه المصطفى -ﷺ- في قوله: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات -ألا فتعرضوا لها"[1]، و وعدهم على ذلك بالعَوْن و المساعدة و أن يقابل لهم ما يعوّضهم من مضاعف في تقرّبهم إليه، كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: "...إن تقرب عبدي مني شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني ماشيا أتيته هرولة"[2]

و إنّ من الأسس التي يَنْبني عليها هذا السلوك المبارك، أنه يرتكز في مجموعه على أمرين اثنين- لا ثالث لهما، و هما الأمر و النهي؛ لما جاء في الحديث القدسي الصحيح- ﴿ وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه[3] ﴾.

و معنى الحديث، و الله و رسوله أعلم: أنه لا يصح للسالك التقرب الى الله إلا بإقامة ما افترضه عزّ و جلّ عليه، و لا ينال محبّة الله تعالى إلا بذلك! و ليكن في علمكم أيّها الأحبّة الأفاضل أن جميع ما افترض الله على عباده في مجالات الحياة كلّها يرجع إلى مصدرين أساسيين هما الأمر و النهي؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[4]﴾ و الأمر و النهي في مفهومنا هما مثل الرِّجلَين للإنسان، أو قل هما منه بمكانة الرِّجلَين، فإنّه لا يستطيع القيامَ و لا السّعيَ برِجْلٍ واحدة، فلا بدّ له من رجلين صحيحتين لإنجاز المهام المنوطة به، التي بها يصل إلى سعادة الدنيا و الآخرة، و بهما يمكنه سلوك سبيل التقرّبِ و الاستقامةِ المسمى في المصطلح الصوفي بالسّلوك؛ و ذلك مع ما يقتضيه هذا السّلوك من لوازمَ مثل الخلوة و الملازمة لذكر الله و الإعراض عما يشغل القلب عن الله عزّ و جل و قس على ذلك من الشّروط الضرورية في هذا الشأن العظيم. و إنّما ضربنا المثل هنا بالرِّجلَين لأنّ الله تعالى ذكر المشي في التقرب إليه: "و إنْ أتاني ماشيًا أتيتُه هرولَة"، و معنى المشي هنا إنّما يُرادُ به جميعُ أعمالِ التقرّب إلى الله، سواء الجسمية منها أو القلبية.

---

[1] الحديث مذكور في "شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك"، ج١، رقم الحديث: ٢٣٨، ص:٣٩٢؛ "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[2] حديث قدسي، "مسند الإمام أحمد"، ج٣، ص:١٢٢، رقم الحديث: ١١٨٢٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[3] جزء من حديث موجود في "صحيح البخاري"، ج٥، ص٢٣٨٥، رقم الحديث:٦١٣٧-"موسوعة الحديث الشريف".

[4] الحشر، جزء من الآية ٧.

و اعلموا إخواني الأفاضل أن ملخّص ما ذكرناه لكم في هذه الرسالة القصيرة هو أن مصدر الطريقة الصوفية؛ التي نحن و إياكم عليها و السلوك الجيد السليم الذي نعمل بموجبه، هو الصدق مع الله و الصفاء، أي الإخلاص الخالص لوجه الله؛ لأنهما إذا صحّا مع الله، أي سلِما من المفسدات، فإنهما يتحقّقان في جميع المعاملات مع جميع المخلوقات بإعطاء كل ذي حقّ حقه و بإنزالِ كل واحد منزلته و موضعه اللائق به، أي الذي يستحقه بموجب الشّرع الكريم، عملا بقوله ﷺ:- "إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، و البغض في الله[1]"، و قوله-عليه الصلاة و السلام:- ﴿ لا تُرْضِيَنَّ أحدا بسخط الله ، ولا تَحْمَدَنَّ أحدا على فضل الله ، ولا تَذُمَّنَّ أحدا على ما لم يؤتك الله ، فإن رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ، ولا يرده عنك كراهية كاره ، وإن الله بقسطه وعدله جعل الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ في الرضا واليقين ، وجعل الهَمَّ وَالْحَزَنَ في الشَّكِّ وَالسَّخَطِ[2] ﴾.

كما نحيط جميع إخواننا علماً أن الذي نحن عليه من نعمة و خير و بركة و صفاء هو محض الفضل من الله علينا، فيجب علينا جميعا دوام الشّكر لله المنعم الكريم، و الشّكرُ كما عرّفه أهل الذكر؛ هو استعمالِ نِعَم الله فيما يحبّه و يرضاه، و ألاّ يُرادَ بذلك إلا وجه الله الكريم لكي يكون من المؤمنين الكُمّل الذين مدحهم الله في محكمِ التنزيل بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ(٢٥)[3]﴾ و في قوله عزّ و جل: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ

---

[1] حديث حسن الحديث؛ ذكره البوصيري الكناني الشافعي، (المتوفى: ٨٤٠هـ) في كتابه؛ "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، ج١، ص٩٥، رقم الحديث: ٥٤- موسوعة "المكتبة الشاملة". روى الحديث أحمد بن حنبل؛ ولفظه: كنّا جلوسًا عندالنبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: أيّ عرى الإسلام أوثق؟ قالوا: الصّلاة. قال: حسنة، وما هي بها. قالوا: الزّكاة. قال: حسنة، وما هي بها. قالوا:- صيام رمضان. قال:- حسن، وما هو به. قالوا: الجهاد. قال: حسن، وما هو به، قال: إنّ أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله".

[2] حديث حسن لغيره. انظر "معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي". المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ) ، ج١، ص:١٨١. الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١.

[3] الأنعام.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]؛ فالآية الأولى تتضمن العبادات؛ و الثانية، المعاملات.

و هكذا ينبغي للصوفي أن يكون متحققا بالله لا يريد إلا وجهه الكريم و لا يبتغي إلا فضله و رضوانه في جميع توجهاته؛ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[2]- كذلك قوله-ﷺ: "أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل[3]"؛ أي كل شيء أو عمل يقصد أو يراد به سوى وجه الله تعالى فهو باطل و عن الوجود عاطل، عاجز صاحبه عن نفع نفسه فكيف ينفع غيره! كما أن هذا الحديث يشير أيضا إلى أسمى غاية في التوحيد، حيث أنه يحتوي على التوحيد الكامل؛ العقائدي و العملي:-

أ) فالعقائدي هو أن يعتقد المؤمن أن الله تعالى هو الخالق و أن كل ما سواهُ مخلوقٌ، و أن الله تعالى هو القادر و أن كل ما سواهُ عاجزٌ لا قدرة له من ذاته، فهو لا يضر و لا ينفع و لا يَقْوى على فعل شيء إلا بقدرة الله عزّ و جل و مشيئته ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾[4]، و كذا قوله-ﷺ: "ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن[5]"؛

ب) و أما التوحيد العملي فإنّي أعني به ملازمة التوحيد للعمل، و يتمثل ذلك في النيّة

---

[1] الإنسان

[2] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[3] جزء من حديث حسن سنن ابن ماجه موسوعة "جوامع الكلم"، رقم الحديث(ر/م)٣٧٥٥/٣٧٥٥:٣٧٥٧- موسوعة "جوامع الكلم" نص الحديث: "أصدقُ كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. و كاد أمية بن أبي الصّلت أن يُسلم".

[4] جزء من آية ٢٩ من سورة "التكوير".

[5] جزء من حديث مذكور في "سنن أبي داود"، و هو حديث حسن. "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، ج٤، ص:٣١٩، رقم الحديث:٥٠٧٥.نص الحديث: حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو أن سالما الفراء حدثه أن عبد الحميد مولى بني هاشم حدثه أن أمه حدثته وكانت تخدم بعض بنات النبي-صلى الله عليه وسلم- أن ابنة النبي- صلى الله عليه وسلم- حدثتها أن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يعلمها فيقول: " قولي حين تصبحين سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما-فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح".

و القصد و الإرادة أثناء العمل و السّعي، أو بعبارة أخرى: التوحيد العملي هو الإخلاص المصاحب للعمل على الدوام؛ إذ أنّه شرط ضروري لصحة العمل- كما جاء في الحديث النبوي الشريف: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه[1]» ، و في هذا المعنى قال ابن عطاء الله- رحمه الله: "الأعمال صور قائمة و أرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها[2]".

فالتصوف إذن هو صفاء السرائر من الأغيار و طهارة القلوب و تنقيتها من الأوضار[3]، فإن السّالك لطريق القوم إذا داوم على العمل بهذين الأمرين، الطهارة و التصفية، و ثبت على ذلك بصدق و إخلاص، فإنه يصل بعون الله تعالى إلى جني الثّمار التي أعدّها الله لأهل القرب و التداني من عباده الأبرار الأتقياء، مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، فالصالحون يصلون إلى شيء من هذا النّعيم الذوقي الوجداني الشّهودي العياني في الحياة الدّنيا بقلوبهم و أرواحهم الطاهرة في حضرة القرب المعبّر عنها بمقام الإحسان، حيث يكون العبد المُقرّب كأنه يرى الحق لشدّة طهارة قلبه و قوة نور إيمانه و صفاء بصيرته، و الدليل على تذوق القلب و وجدانه و معاينته ما جاء في الأحاديث النّبوية الصحيحة، منها قوله- ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان[4]..."؛ إلى آخر الحديث، و قوله-ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا[5]»، و في حديث الفراسة؛ "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر

---

[1] جزء من حديث مذكور في "سنن النسائي"، ج٦،ص:٢٥، رقم الحديث:٣١٤٠-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عكرمة بن عمار عن شداد أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي؛ قال جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال: أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله؟ فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "لا شيء له فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لا شيء له، ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه".

[2] انظر "الحكم العطائية: شرحٌ و تحليل"، الجزء الأول، ص:١٤٩. المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي-رحمة الله عليه و غفر خطاياه.الناشر:دار الفكر المعاصر.

[3] معنى وَضِرَ في "المعجم الوسيط"؛ (يَوْضَرُ) وَضَراً: وسخ. و الإناء: دسم. فهو وضِر، وهي وضِرة، ووضْرى. وَضَّرَهُ- جعله وَضِراً. ويقال: كان نقيّ العِرْض فوضّره بالدناءة.

[4] جزء من حديث،"صحيح البخاري"، ج١،ص١٤، حديث رقم١٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث:- عن أنس بن مالك-رضي الله عنه، عن النبي-صل الله عليه وسلم؛ قال:"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله؛ وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".

[5] "صحيح مسلم"، ج١، ص:٦٢، حديث:٣٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن العباس

"بنور الله"[1]. و أمّا من القرآن الكريم فإن العاقل يكفيه دليلا قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦)﴾[2] و قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾[3] و أي عجل! و قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾[4]

فهذه الآيات و الأحاديث كلّها تشير و تدلّ على أنّ هناك قلوبا حيّة بنور الإيمان الصّحيح الخالص المشرق عليها من مشكاة نور النبوة على الدوام، حيّة بسرّ التوحيد المستفيض من حضرة الوحدانية على كل قلب طيّب محبوب ربّاني[5] بمحبّة الله، مملوءة في حضرة قربه، دائم التّنعم برضوانه و الأنس به، و هذه الحالات إنّما هي البعض من حالات قلوب الصّدّيقين الأصفياء في مقام المشاهدة لتجلياته سبحانه و تعالى و المعاينة لآياته من خلال النظر و التأمل في خلق السّموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار مع الاستهتار بذكر الله، ذلك لأن التفكر في خلق السّموات و الأرض مع الغفلة أو في مجال الغفلة هو تفكّر أعمى لا ينفع القلوب، فمن أراد التفكر المفيد النافع فليسلك طريق ذكر الله و المواظبة عليه حتى يخرج من الظلمات إلى النور ممتثلا لأمر الله تعالى، حيث أمره بسلوك سبيل الذكر الكثير الذي ينتهي بصاحبه إلى الخروج من الظلمات إلى النور بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم يقول: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا".

[1] جزء من حديث نصه في "سنن الترمذي" و هو حديث حسن لغيره، ج٥، ص٢٧٩، رقم الحديث:٣١٢٧- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ "إن في ذلك لآيات للمتوسمين". وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: "إن في ذلك لآيات للمتوسمين" أي للمتفرسين.

[2] من سورة "الحج".

[3] جزء من الآية ٩٣ من سورة "البقرة".

[4] من سورة "ق".

[5] مروي بري المحبة الإلهية.

وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾[1]، و بعد الخروج من ظلمات الغفلة عن الله و ظلمات الجهل بالله يتسنى له الارتقاء في التفكر السّليم، فينكشف له بمشيئة الله تعالى عن معنى الآيات التي أخبر عنها الله عز و جلّ في محكم التنزيل، منها قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[2]. ثم إن المتأمّل في حكمة ترتيب هذه الآيات يدرك أوّلا أن صراط الله المستقيم للوصول إلى معرفة رب العالمين له آيات أي أمارات أو علامات تشير بالحق للحق لا يفهمها كلّ الناس، وإنما يفهمها أولوا الألباب، ثم يعون و يدركون نوعية العمل و كيفيته، و هذا كله يدلّ على التعلم و الاستعداد التام قبل الشّروع في العمل، فإذا توفرت الشّروط في المريد و سلك الطريق بجدّ؛ فإنه يصل بعون الله تعالى إلى معنى التحقيق، و الله وحده الهادي إلى سواء الطريق، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

دمتم في رعاية الله و حفظه.

حررت في يوم الاثنين ٢٧ محرم ١٤٢٦هـ الموافق لـ ٨ مارس ٢٠٠٥م.طبعت للمرة الأولى في يوم الخميس ١٣ صفر ١٤٢٦هـ الموافق لـ ٢٤ مارس ٢٠٠٥م.

عبد ربه أحمد حبيب.

---

[1] الأحزاب.

[2] آل عمران.

و فيما أوردناه من النصوص الواضحة الجليّة في هذه القضية كفاية لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا. و موضع الدّلالة هنا هو أن النبي -ﷺ- أقرّ الرجل الذي نذر أن يذبح إبلا على بُنه و إرادته بعد استفساره عن حال المكان فقال له "أوف بنذرك" و قال للمرأة "أوفي بنذرك" و لم يعقب على إرادتهما؛ أي لم يقل لهما: لم لا تذبحان في منزليكما، أو في أهليكما؟ كما يفعله بعض المعترضين في زمننا، هدانا الله و إياهم إلى سبيل الحكمة و الرّشاد، آمين.

فصل في شروط حِلّة الذبائح التي تذبح عند مقامات الصّالحين:

و أمّا مسألة لحوم الذبائح التي تذبح عند مقامات الصّالحين-هل هي حلال تؤكل؟ نقول للسائلين الباحثين بعدما بيّنا و أوضحنا لهم أن المكان في الوفاء بالنّذر غيرُ مشروط أو محدّد، بقي لنا الآن أن نعرف شروط الذبح، فنذكر منها ما يتعلق بالنّذر، و أمّا كيفية الذبح فإنها مبسّطة في كتب الفقه، إذن للذبح المتعلق بالنذر شرطان؛ الأول أن يهل به صاحبه لله وحده لا غير، أي يريد بذبيحته وجه الله، و الثاني أن يذكر عليه اسم الله لقوله تعالى:-﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ[1] ﴾، و على هذا الأساس فإن توفر الشّرطان فاللحم حلال طيّب-أينما كان و حيثما وجد و لا حرج فيه و لا على آكله.

انتهى الجواب عن السؤال الثالث.

- **السؤال الرابع:**

و أما السؤال الرابع المتعلق بالتوسّل بالنبي-ﷺ-و بعباد الله الصّالحين من هذه الأمة، فنقول لإخواننا الأفاضل أننا تطرقنا لهذه المسألة الجليلة في "رسالة اليقين" مفصّلة و بأدلة واضحة و كافية شافية من الكتاب و السّنة، فمن أراد الإطلاع عليها فليطلبها هنالك، و الرّسالة متوفرة لدينا و نهدى لمن يطلبها مجّانا، و الله لا يضيع أجر المحسنين.

انتهت بحمد الله و عونه الإجابة عن أسئلة إخواننا في العقيدة و الإيمان،و ما الفضل إلاّ من عند الله الكريم المنّان-و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من والاه.

حررت في يوم ٢١ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - الموافق لـ ٢٨ يونيو ٢٠٠٥ م.

عبد ربه أحمد حبيب

على رأسك بالدف قال أوفي بنذرك! قالت إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا، مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية، قال:- لصنم؟ قالت لا! قال: لوثن؟ قالت: لا! قال: قال أوفي بنذرك!"

[1] جزء من الآية ١١٨ من سورة "الأنعام".

الباب السادس:

رسالة القول المعروف لمن أنكر التصوف الإسلامي



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1]، و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد السراج المنير الهادي إلى صراط الله المستقيم و على آل بيته الطاهرين و صحابته الميامين و سلم تسليما إلى يوم الدين.

من عبد ربّه الحاج أحمد حبيب، صانه الله و سدد خطاه-آمين، إلى كافة إخواننا لله و في الله من الذاكرين الشاكرين في جميع أنحاء المعمورة، السلام عليكم جميعا و رحمة الله و بركاته و أحيا الله قلوبنا و قلوبكم بنور معرفته و سر توحيده حق معرفته حق معرفته، و لا أماتها حتى يميت أجسامنا و قلوبنا حيّة، و جعلنا الله و إياكم ممن يشترون نفوسهم بكل شيء، و لا يبيعونها بشيء، و نسأله تعالى أن يعلمنا و إياكم من لدنه علما نافعا و أن يفهمنا عنه فهما واسعا و أن يفقهنا في الدين، إنه وليّ المؤمنين و هو يتولى الصالحين.

إشتغال العامة بالقدح في عباد الله الذاكرين:

و بعد، اعلموا إخواني الأفاضل، وفقكم الله إلى قربه و رضاه أن معظم الناس من أمة الإسلام، و خصوصا في عصرنا الحاضر، قد خاضوا في التصوف الإسلامي خوضا لا يليق بالإسلام و لا بالمسلمين، فصاروا يشوّهونه و يقبّحون أهله بأباطيل مفتعلة ليس لها من الصحة شيء، و إنما هي مجرد أهواء نفسانية و نزغات شيطانية ممقوتة عند الله و عند رسوله-ﷺ-و عند ذوي العقول السّليمة من المؤمنين، قد زيّنها الشيطان لضعفاء الإيمان ليزرع من خلالهم العداوة و البغضاء و النزاع بين المسلمين فيفسد عليهم أخوتهم الإيمانية-التي أنعم الله بها عليهم-و عزتهم و كرامتهم و مجدهم، و لكن مع الأسف الشّديد، إنّ الشّيطان تسرّب إلى الأفكار و ضمائر فئة من رجال الدّين فوجد أبوابها مفتوحة و دون حرس؛ و أعني بالأبواب هنا؛ أبواب القلوب؛ و أعني بالحرس، ذكر الله عز و جل. فالقلوب الخالية من ذكر الله هي مرتع لوسوسة الشيطان و تزيينه و إغرائه و تحريشه بين المسلمين؛ كما جاء في الحديث عن النبي-ﷺ-أنه قال:إن الشيطان يئس أن يعبد في أرض الإسلام، و لكنه لم ييأس من التحريش[2] بين المسلمين[3]-أو كما قال-ﷺ-و في حديث آخر قال:"إن الشيطان واضع

---

[1] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[2] التحريش: الإغراء و تحريض البعض ضد الآخر.

[3] هذا معنى الحديث. و الحديث رواه مسلم، ج٤، ص:٢١٦٧، رقم الحديث: ٢٨١٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"؛ نص الحديث: عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول:"إن الشيطان قد

خطمه-أي فمه-على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس و إن نسي التقم قلبه[1]"، يعني استولى عليه. كما قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[2]-ثم دخل بهم ميدان الغفلة و النسيان، و هناك يزين لهم سوء أحوالهم و أعمالهم و يدلهم على عورات الغير و عيوبهم، فينطلقون في ذلك متكالبين على هتك حرمات المسلمين و الوقوع في أعراضهم بغير حق، و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا! فمن مثل هذه التصرفات السيئة و الأعمال الرديئة نشأ الخلاف و النزاع الممزق لشمل أمة الإسلام، المشتت لوحدتها المشوّه لصورة الأخوة، أخوة الإسلام التي أعطاها رسول الله -ﷺ- اهتماما كبيرا و اعتنى بها عناية عظيمة لا مزيد عليها، فقال -ﷺ: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا[3] ». و قال كذلك:"المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يخذله و لا يحقره، التقوى ها هنا-و أشار إلى صدره ثلاث مرات-بحسب إمريء من الشّر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله و عرضه[4]"-رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.فإن من موجبات هذا الحديث المتضمن حماية و حفظ جميع حقوق الأخوة في

أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم". جاء في "شرح النووي على مسلم"، ج١٧، ص٢٩١ -"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" في شرح هذا الحديث: قوله-صلى الله عليه وسلم : "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم"-هذا الحديث من معجزات النبوة، وقد سبق بيان جزيرة العرب، ومعناه:- أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب ، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن ونحوها. إنتهى، و جاء كذلك في "مجمع الزوائد و منبع الفوائد"، ج٣، ص:٢٦٦-نفس الموسوعة-ما نصه:" ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم..."إنتهى بتصرف.

[1] جاء في "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي-رضي الله عنه، ج٦ ،ص:٦٤٨- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" ما نصه: عن أنس عند أبي يعلى وابن عدي ولفظه:" إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم"-الحديث ، وأورد ابن أبي داود في "كتاب الشريعة" من طريق عروة بن رويم- "أن عيسى عليه السلام سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم ، قال فإذا برأسه مثل الحية واضع رأسه على ثمرة القلب ، فإذا ذكر العبد ربه خنس ، وإذا غفل وسوس".

[2] جزء من الآية ١٩ من سورة "المجادلة".

[3] "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢٢٥٣، رقم الحديث: ٥٧١٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[4] عن أبي هريرة قال؛ قال- رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا-ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"-صحيح مسلم، ج٤، ص:١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٥٦٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الله أن يسعى كل مسلم يؤمن بالله و اليوم الآخر جادًا في إصلاح هذه الأخوة و تقوية أواصرها من ألفة، و محبة، و مودة، و إصلاح ذات البين التي هي أفضل من درجة نوافل العبادات، مثل الصلاة و الصوم و الصدقات، لكن الناس نيام ساهون غافلون عن سعادتهم، قد أعماهم حب الظهور و العلية و الانتصار على من سواهم من أفراد و جماعات من أهل الخير من المؤمنين، و نسوا أو تناسوا أن الواجب المؤكد للمطلوب في مثل هذه الحالات هو الفرح و السرور و الاعتزاز بمن يسارع في الخيرات من عباد الله الصالحين مع التماس محبتهم و مودتهم للفوز معهم و لنيل الفضل و الشرف عند الله، و لو مع العجز عن إدراك منازلهم العالية، لما جاء في الأثر أن أحد الصحابة -رضوان الله عليهم- و أظنه أبا ذر الغفاري- جاء إلى رسول الله -ﷺ- فقال يا رسول الله إن الرجل يحب القوم و لم يقدر أن يعمل أعمالهم فقال له -ﷺ-: أنت مع من أحببت أو قال المرء مع من أحب[5]!

انتبهوا أيها الإخوان و تفطنوا إلى ما في هذا الأثر الشريف من فوائد و منافع، فإن من مزايا هذا الأثر أنه من أحب الصالحين و هو ضعيف الحال قليل العمل فإن الله -ﷻ- يلحقه بمنازلهم و يحشره معهم يوم القيامة بفضل محبتهم لقوله لهذا الصحابي "أنت مع من أحببت"، و لحديث الأعرابي الصحيح الذي سأل فيه عن قيام الساعة، فقال له رسول الله -ﷺ-: ماذا أعددت لها ؟ فقال الأعرابي ما أعددت لها من صلاة ولا صيام و لكنّي أحبُّ الله و رسوله، فقال له رسول الله -ﷺ- المرء مع من أحب! فقال راوي الحديث، أنس بن مالك -ﷺ-: ما فرحنا بعد فرحة الإسلام بشيء أشد من فرحنا بهذا الحديث،ثم قال: إنّي أحب الله و رسوله و أبا بكر و عمر و أرجو أن أكون معهم[6]!

[5] انظر "مسند الإمام أحمد"، ج٤، ص٣٩٨، رقم الحديث: ١٩٠٦١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي موسى -قال جاء رجل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم فقال: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: المرء مع من أحب!" جاء في "صحيح البخاري"، ج٤، ص:٢٢٨٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" ما نصه: قال عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- جاء رجل إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: المرء مع من أحب!

[6] "صحيح البخاري"، ج٣، ص:١٣٤٩-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".نص الحديث: عن أنس-رضي الله عنه-أن رجلا سأل النبي- صلى الله عليه وسلم- عن الساعة؛ فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت مع من أحببت! قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-أنت مع من أحببت! قال أنس: فأنا أحب-النبي صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

من أسباب انحراف الأمة عن صراط الأولين:

و أما الذي نراه الآن في مجتمعنا الإسلامي من فساد و انحراف و انحطاط و تنازع فيما بين الأفراد و الجماعات؛ فالسبب في ذلك كله، هو الخروج عن الأصل و الابتعاد عنه؛ و أعني بالأصل هنا ما جاء به الحبيب المصطفى -ﷺ- من عند الله -عز و جل- من الدين الخالص الذي ألّف به بين طائفتين عظيمتين -ألا و هما الأوس و الخزرج، فأصبح أهل الطائفتين بنعمة الإيمان إخوانا متحابين، متوادين؛ كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى. وإذا نظرنا إلى تلك الحياة الطيبة، حياة العزة و الكرامة الزاخرة بمحاسن الأخلاق و الخصال الحميدة و المستفيضة بجميع أنواع البر و الإحسان و الاستقرار النفسي و السّكينة و الاطمئنان ، وجدنا أنها كانت حقا حياة الصحابة التي عاشوها مع الحبيب المصطفى -ﷺ- و بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كانوا هم الرجال الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(٢٣)﴾[1]؛ فهم أصفياء الأتقياء و هم صفوة الله من خلقه بعد أنبيائه و رسله، الذين رباهم سيّد ولد آدم -ﷺ- في مدرسته الربانيّة، مدرسة النبوّة، فكانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالله. ثم ظهر هذا الصفاء في التابعين الذين أخذوا عن الصحابة و تربّوا على أيديهم و سلكوا مسلكهم السليم، فالصحابة أخذوا عن رسول الله -ﷺ- و التابعون أخذوا عن الصحابة، و ذلك عملا بقوله ﷺ -:"عليكم بسنتي و سنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي-عضوا عليها بالنواجذ[2]".

من هم الصوفية؟

إن التابعين الذين أخذوا علومهم و تربيتهم و آدابهم عن الصحابة و سلكوا على أيديهم هُمُ الصوفية حقًا، سواء ظهر عليهم اسم التصوف أو لم يظهر؛ فإنهم أخذوا الصفاء من أصله أي من الأصفياء الذين ما بدّلوا و ما غيّروا؛ و بعبارة أخرى، إن الصحابة لم يأخذوا عن أفكارهم و لا عن

[1] الأحزاب.

[2] عن العرباض بن سارية ، قال : صلى لنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-صلاة الصبح ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا! قال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة" -انظر "المستدرك على الصحيحين" لأبي عبدالله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ج١، ص:٢٨٨، رقم الحديث: ٣٣٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب."

عقولهم و إنّما أخذوا بقلوبهم من مشكاة النبوة مباشرة، و لما كانوا على مستوى عالٍ من الطهارة الكاملة و الصفاء التام فإنهم لم يكدروا و لم يشوبوا ما أخذوه من مشكاة النبوة بشيء من أنفسهم بل أبقوه على أصله، فكان أخذ التابعين عن الصحابة أخذا من الأصل، فكأنهم أخذوا عن النبي-ﷺ! صاروا هم كذلك أصلا و أعطوا ذلك الصفاء لتابعي التابعين صافيا وافيا، ثم إن هذا الصفاء بعد عصر الصحابة اشتهر في التابعين و تابعي التابعين فنشؤوا صوفية لشدة صفاء قلوبهم مع الله-ﷻ-و هكذا جرت سنة الله في خلقه أن ينتقل ذلك الصفاء و يسري في عباد الله المؤمنين من سلف إلى خلف إلى يوم الدين-

فالصوفية الأصليون هم من الصحابة من حيث أنهم يتمتعون بما كان عليه الصحابة-رضي الله عنهم-من الصدق مع الله و الإخلاص لوجه الله و الوفاء بعهده و الزهد في الدنيا و فيما في أيدي الناس؛ فبذلك أحبهم الله و أحبهم الناس. و لست أعني بالزهد ترك الدنيا، و إنما أعني به إخراج محبتها من القلب، و أما قولي: الصوفية الأصليون هم من جملة الصحابة، فإني أعني بذلك معنى قوله تعالى في سورة الجمعة: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ -أي من الصحابة- ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾[1] أي لم يأتوا بعد؛ فإن التابعين لم يلحقوا بالصحابة وقت نزول الآية، إنما لحقوا بهم فيما بعد، و هكذا يبقى معنى الآية في أهل الحق مشرقا يشع نوره من خلال أعمالهم الخالصة و معاملاتهم الحسنة و هم ثابتون على الحق لا يضرهم من عاداهم إلى يوم الدين.

فالتصوف عندنا هو ذلك الدين الخالص الباقي على أصله في قلوب العلماء بالله و الربانيين من عباد الله الذين ذكرهم في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2].

فهؤلاء هم الصوفية و أحوالهم الزكية المرضية هي التصوف المبني على العلم النافع في الباطن، و على العمل الصالح في الظاهر، فالصوفي هو الجامع بين هذين الركنين العظيمين، كما قال بعضهم:- "التصوف هو علم نافع في القلب و عمل صالح على ظاهر العبد". فالعلم النافع هو العلم اللدني و يسمى بعلم القلوب و كذا بالموهوب و موضعه القلب و علامة وجوده الخشوع الحقيقي الذي جعله الله تعالى صفة و نعتا للعلماء بالله فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3]. هكذا ميّز الله عباده العلماء عن غيرهم من علماء الدنيا و قد شرح ذلك و بين معناه أحسن تبيين ابن عطاء الله-رحمه الله-في حكمه حيث يقول:- "الخشوع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته و تجلي صفاته". و أما الخشوع غير الحقيقي

[1] جزء من الآية ٣ من سورة "الجمعة". الآية: "وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)".

[2] جزء من الآية ٧٩ من سورة "آل عمران".

[3] جزء من الآية ٢٨ من سورة "فاطر".

فهو خشوع التصنع الذي قال في حقه الصحابي الجليل أبو هريرة-رضي الله تعالى عنه و أرضاه-"أعوذ بالله من خشوع النفاق[1]"، و علامته المبالغة في لين الكلام و إظهار التخشع و التماوت في المشي. فهذه المظاهر كلها لا تليق بالمؤمن القوي في إيمانه و لا تصلح له، و ذلك لأن الخشوع موضعه القلب و خاص بالرب عز و جل، كما عرفه أحد العلماء فقال:و قال ابن كثير عند تفسيره لقوله تعالى:- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾[2]-أي يمشون من غير استكبار و لا مرح و لا أشر و لا بطر. و ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا؛ و قد روي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-أنه رأى شابا يمشي بتضعّف فقال:- ما بالك أأنت مريض؟-قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدِّرَّة[3] و أمره أن يمشي بقوة"-إنتهى-

الأعمال بين صفاء و كدر:

و ليعلم الإخوان أن كل شيء يصدر من الإنسان في ظاهره و باطنه لا يخلو أبدا من أن يكون إما صافيا و إما كدرا مشوبا، و يكون ذلك حسب طهارة و صفاء نفس الإنسان، لأنه ما من شيء يأتي من عند الله إلا و يأتي صافيا محضا و بعد دخوله على الإنسان إما أن يبقى خالصا و إما أن يتغير بطاهر أو بنجس:-

[1] عن أبي الدرداء أنه قال: تعوذوا بالله من خشوع النفاق، قال: قيل: يا أبا الدرداء، وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع. أنظر "مصنف ابن أبي شيبة"، ج٨، ص:٣٢٠، حديث رقم: ١٩٠. "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".و جاء كذلك في " نوادر الأصول في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم" للحكيم الترمذي (المتوفى نحو ٣٢٠هـ)، ج٣، ص: ٢١٠، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل-بيروت (و الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة" الرقمية) ما نصه:"عن مَالك بن أنس-رضي الله عنه-قال خطبنا أبو بكر الصّديق رضي الله عنه-فقال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: تعوذوا بِاللهِ من خشوع النِّفَاق! قيل يَا رَسُول الله؛ وَمَا خشوع النِّفَاق؟ قَالَ: خشوع الْبدن ونفاق الْقلب. وعَن أبي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ أَن رَسُول الله-صلى الله عليه وسلم-رأى رجلا يعبث بلحيته فِي الصَّلَاة-فقال:"لَو خشع قلبه لخشعت جوارحه". قَالَ أَبُو عبد الله: فخشوع الْقلب من الْمعرفَة فكلما كَانَ أوفر حظا من الْعلم بِاللهِ وللمعرفة بآلائه كَانَ أخشع فأثقال الْمعرفَة حلت بِالْقَلْبِ فأدت الْقلب إِلَى ثَلَاث: خشعة وخضعة وذلة؛ فالذلة، الحذر؛ والخضعة، اللين؛ والخشعة، الانكسار والانحناء. فهذه صفة الْقلب وَأما صفة النَّفس تَحت أثقال الْقلب فلهَا الخمود مَكَان ذلة الْقلب والانثناء مَكَان الخضعة والتهافت والتهاتر كالرمل مَكَان الخشعة كَمَا وصف الله تَعَالَى فِي كِتَابه الْجبَال؛ فَقَالَ: "وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا"-أي رملا ينهار ويتساقط."-إنتهى-

[2] الفرقان.

[3] القصة مذكورة في "تفسير ابن كثير"، ج٦، ص:١١٠-"المكتبة الشاملة". الكتاب: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين،الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون-بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ

و حب الاستمتاع بزهرة الحياة الدنيا

- أ) أما الطاهر فهو عبارة عن الشهوات النفسية و الحظوظ البشرية و حب الاستمتاع بزهرة الحياة الدنيا في غير إثم و لا معصية مع الغفلة عن ذكر الله و التقرب إليه بالنوافل؛ فإن هذا القسم ينتفع به في الدنيا فقط كمثل الماء الطهور إذا اختلط بطاهر فإنه يصلح للعادة مثل الطبخ و الشرب و لا يصلح للعبادة مثل الوضوء و الغسل من الجنابة اللذان هما من شروط أداء الصلاة التي هي أفضل عمل يتقرب به العبد إلى الله، فإذا تغير بذلك الطاهر فلا يصلح للعبادة و إن لم يتغير فإنه يجوز استعماله للعادة و للعبادة؛

- ب) و أما إذا اختلط الماء بنجاسة، و أعني بالنجاسة هنا المعاصي و الآثام و الفسوق، فإن هذا القسم لا ينتفع به في الدنيا و لا في الآخرة و يكون مآله الخسران المبين، إلا من تاب و آمن و عمل صالحا فإن الله غفور رحيم؛ و ذلك كمثل الماء الطهور إذا اختلط بنجس و تغير به فإنه لا يصلح لا للعادة و لا للعبادة، فإن الحق عز و جل ما حرم المعاصي و الآثام و جعلها محظورة إلا لمضارها المادية و المعنوية على السواء، فإن لم يمس الضرر البدن و العقل معا مس حتما أحدهما.

و أما قولنا كل شيء يأتي من عند الله يأتي طاهرا محضا؛ فإننا نعني بذلك نعمه و فضله و إحسانه، و الحقيقة أن جميع ما عند الإنسان من الخير هو من عند الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]، و لقد حذرنا الله تعالى من تغيير نعمته و توعدنا بالعقاب الشديد فقال-ﷻ-: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

العناية بوحدة المسلمين في زمن الصحابة و اهتمامهم بطهارة القلوب:

إن من فوائد الأثر السابق أن الصدر الأول من صُلّاح هذه الأمة و هم الصحابة-رضي الله عنهم-بلا شك و لا خلاف، قد كانت لهم عناية كبيرة و حرص و اهتمام شديدين على تقوية أواصر وحدة الأمة مع المحافظة على أسسها القوية المتينة و ذلك بما كانوا يتمتعون به من أخوة صادقة و بذل و إيثار و تعظيم فيما بينهم، و كيف لا يكون فيهم ذلك التعظيم و هم الذين نقلوا إلينا بالسند الصحيح قوله-ﷺ-: "بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم[2]"

---

[1] جزء من الآية ٢١١ من سورة "البقرة".

[2] جزء من حديث صحيح رواه مسلم. انظر "صحيح مسلم"، ج٤، ص١٩٨٧، رقم الحديث: ٢٥٦٤-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[تنبيه]: الحديث في الصفحة التالية: ذكر الأستاذ هنا معنى الحديث. و الحديث رواه الإمام البخاري-رضي الله عنه-في صحيحه. انظر "صحيح البخاري"، ج١، ص:٢٩، رقم الحديث: ٥٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله-صلى الله

و اعلموا أيها الأحباب في الله أن الذي ذكرناه لكم في هذا الفصل من هذه الرسالة إنما هو ثمار الإيمان و التقوى اللذين موضعهما القلب و بهما فقط تصلح القلوب لا بغيرها. فإذا صلحت القلوب صلح المجتمع كله، لقوله-ﷺ-: "إذا صلح القلب صلح الجسد كله[1]"، و كذلك أنه: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها[2]".

الخشوع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته و تجلي صفاته:

الخشوع هو تذلل القلوب لعلام الغيوب-ﷻ-فإن النعمة كلها من عند الله و موضع ظهورها و استعمالها هو الإنسان. فإن كان هذا الأخير نظيفا طاهرا من كل وصف مذموم فإنه يكون مثل الزجاج الأبيض الأصلي الشفاف يعطي كل شيء حلّ فيه أو قابله وصفه الحقيقي بلا لون و لا زيادة و لا نقصان. إذن فالصوفي لشدة طهارة قلبه و زكاة نفسه و صفاء حاله مع ربه، صار مظهرا صرفا لنعم الله و فضله و إحسانه، و بهذا يكون دالا على الله بحاله و مقاله و عمله؛ و هذا هو العبد الصالح حقا الذي ليس للشيطان إليه سبيل، و لا له عليه سلطان، و ذلك لأن هذا العبد الصالح قد تطهر طهارة كاملة شاملة من جميع مطامع الشيطان، و مطامع الشيطان هي أحوال الإنسان النفسانية مثل الشهوات، و الإنسان بين أمرين؛ إما أن يكون ربانيا؛ و إما نفسانيا. فإن كان ربانيا فلا سلطان للشيطان عليه؛ و إن كان نفسانيا كان عرضة لسهام إبليس التي لا نجاة للمؤمن منها إلا بالفرار إلى الله و التحصّن بذكره جل ثناؤه، كما جاء في الصحيح عن النبي-ﷺ-أنه قال: "إن الله أوحى إلى يحي بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن و أن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن"-و نقتصر هنا على الكلمة الخامسة و هي: "......و آمركم بذكر الله كثيرا، و مثل ذلك كرجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، و كذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى[3]......"-رواه أصحاب السنن و قالوا صحيح على شرط البخاري و مسلم -رحمهما الله.

عليه وسلم: "يقول الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس؛ فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه! ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه! ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله-ألا وهي القلب!"

[2] سبق تخريجه و الكلام منسوب للإمام مالك بن أنس-رضي الله عنه. انظر "شرح الطحاوية لسفر الحوالي"، ج١، ص:٩. الكتاب: "شرح العقيدة الطحاوية"-المؤلف: سفر بن عبد الرحمن الحوالي-"المكتبة الشاملة".

[3] انظر "صحيح ابن خزيمة"، ج٢، ص:٩١٥-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن الحارث الأشعري أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الله أوحى إلى يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فكأنه أبطأ بهن، فأتاه عيسى-فقال : إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن ، فإما أن تخبرهم ، وإما أن أخبرهم-فقال : يا أخي، لا تفعل، فإني أخاف أن تسبقني بهن أن يخسف بي،

فإن من تروّى في شأن هذا الحديث و تأمل فيه جيداً؛ فإنه بلا شك يجد ضالته، أي نجاته التي بها سعادته و الفوز برضوان الله في جنة الخلد، و اعلموا أيها الأحباب أن حقيقة السعادة لا تحصل إلا بالأمن و الاطمئنان و راحة البال و هذه الأمور لا تتحقق إلا بذكر الله الكثير، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، و في الحديث الذي تقدم ذكره؛ "العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله تعالى" و كذلك لا يستقر ضمير العبد و لا يهدأ باله إلا بالخروج من أماكن الظلمات و مواضع الخوف و الوحشة و الابتعاد عنها، و هذا أيضا لا يتحقق إلا بذكر الله ﷻ -لقوله عزّ من قائل- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾.

من فوائد الذكر:

فإننا من خلال هذه الآيات و الأحاديث الواردة في فضل الذكر و مزاياه، ندرك تمام الإدراك أن الحياة في عالم النور هي الحياة السعيدة التي لا شقاء فيها و لا بعدها؛ ما دام صاحبها ذاكرا لله شاكرا لأنعمه و أن للذكر فوائد كثيرة جدا لا يمكن ذكرها كاملة في هذه الرسالة المختصرة،

أو أعذب قال: فجمع بني إسرائيل بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم فقال: إن الله أوصى إلي بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن؛ أولهن: أن لا تشركوا بالله شيئا-فإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله، بذهب أو ورق، ثم أسكنه دارا، فقال: اعمل وارفع إلي، فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟ فإن الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئا، وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا-فإن الله يقبل بوجهه إلى وجه عبده ما لم يلتفت؛ وآمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك، كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله من ريح المسك؛ وآمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه؛ وآمركم بذكر الله كثيرا، ومثل ذكر الله كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره، حتى أتى حصنا حصينا، فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر الله " قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : " وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن :١) الجماعة؛ ٢) والسمع؛ ٣) والطاعة؛ ٤) والهجرة؛ ٥) والجهاد في سبيل الله، ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإيمان والإسلام من رأسه ، إلا أن يراجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم" قيل : يا رسول الله ، وإن صام وصلى؟ قال :"وإن صام وصلى، تداعوا بدعوى الله الذي سماكم بها المؤمنين المسلمين عباد الله " .

[٣] جزء من الآية ٢٨ من سورة "الرعد".

[٤] "الأحزاب".

و نظرا لمسيس الحاجة إليها نذكر البعض منها ترغيبا و تشويقا للإخوان عسى أن يفوزوا بقرب من الرحمن- لقد ذكر الشيخ ابن القيم الجوزية -رحمه الله في كتابه؛ "الوابل الصيب من الكلم الطيب" أكثر من مائة فائدة و أنا أذكر لكم منها جملة مفيدة إن شاء الله لتكونوا من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات؛ قال-رحمه الله: "الذكر يرضي الرحمن، و يطرد الشيطان، و يزيل الهم، و يجلب السرور، و ينور القلب و الوجه، و يورث محبة الله تعالى التي هي روح الإسلام، و يورث المعرفة و الإنابة و القرب و حياة القلب، و ذكر الله للعبد، و هو قوت القلب و روحه، و يحط الخطايا، و يرفع الدرجات، يحدث الأنس، و يزيل الوحشة، و ينجي من عذاب الله، و يسعد الذاكر، و يسعد به جليسه، و هو أيسر العبادات و أفضلها، و هو نور للعبد في دنياه و في قبره و يوم الحشر، و به تخرج أعمال العبد و أقواله و لها نور، و هو رأس الولاية و طريقها، و ينبه القلب من نومه و يثمر المعارف و الأحوال الجليلة، و الذاكر قريب من مذكوره، و الله معه و أكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطبا من ذكر الله، و يوجب صلاة الله و ملائكته على الذاكر، و مجالس الذكر هي مجالس الملائكة و رياض الجنة، و جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى"-انتهى ما تيسر ذكره من كلام ابن القيم- رحمه الله.

و إننا إذ نقلنا هذه الفوائد عن ابن القيم و لم ننقلها عن علماء التصوف مع أن كتبهم زاخرة بمعاني الذكر و أسراره و منافعه و فضائله الكثيرة؛ إنما فعلناه لأمرين اثنين:-

- ا) ليعلم الإخوان و غيرهم ممن يطلع على هذه الرسالة أن ذكر الله واجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله؛ و هو مشروع بالقرآن الكريم و السنة المطهرة الصحيحة و لا يوجد أي خلاف بين المسلمين في مشروعيته و يستحب العمل به في جميع حالات المؤمن التي يتحول

---

[١] ابن قيّم الجوزيّة (٦٩١ - ٧٥١ هـ = ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م): محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزّرعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. وهو الّذي هذب كتب ابن تيمية ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصي. وأطلق بعد موت ابن تيمية. وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عددا عظيما، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا. وألّف تصانيف كثيرة منها: "إعلام الموقعين - ط"؛ و "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية - ط"؛ و "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - ط"؛ و"كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء - خ"-إنتهى بتصرف من "الأعلام للزركلي"-"المكتبة الشاملة".

[٢] الكتاب:"الوابل الصيب من الكلم الطيب"، ج١، ص:٤١، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث - القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩ م-"المكتبة الشاملة" الرقمية.

فيها أو يتقلب فيها من قيام و قعود و مشي و اضطجاع و سر و جهر و جماعة وانفراد إلى آخر حالات العبد المؤمن، و ذلك لأن الشرع الكريم لم يقيد الذكر بحالات خاصة، بل جعله مطلقا و أمر بالإكثار منه على كل حال و أن كل طاعة لله -ﷺ- تدخل ضمن الذكر؛ لقوله-ﷺ-: ﴿من أطاع الله فقد ذكره و إن قلت صلاته و صومه و تلاوته[1]﴾، و أما الذي ذهب إليه بعض أهل العلم من تقسيم الذكر إلى قسمين: إلى ذكر مشروع؛ و ذكر غير مشروع و تقييده، أي الذكر، بالسر دون الجهر و بالإفراد دون الجماعة، فهذا من الأمور الاجتهادية و هم قد تأولوها بأفكارهم و بما أوتوا من علم و دراية، و من حقهم أن يلتزموا بها؛ فإن أصابوا فلهم و إن أخطأوا فعليهم، و لكن ليس لهم الحق أن يلزموا غيرهم بها أو يجبروهم عليها. هذا هو الإنصاف و الاعتدال في الأمر، و غيره يكون جورًا و تعسفًا.

- ب) قد فعلنا ذلك أيضا سدا للذريعة على وسوسة الشيطان لئلا يتسرب الوسواس الخناس إلى عقول و أفكار ضعفاء الإيمان فيقول لهم لو كانت هذه الفوائد صحيحة لذكرها خصوم الصوفية من أهل العلم في كتبهم، و إنما ذكرها الصوفية في كتبهم لأجل أن يجلبوا الناس إلى مذهبهم و لتكثير أتباعهم و لتحقيق أغراضهم، و قس على ذلك من التلبيس و التشكيك في صالح الأعمال، نعوذ بالله من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة و الناس.

منهج الصوفية:

و أما الصوفية الحقيقيون-ﷺ-فإنهم أقبلوا على الله في بدء الأمر بالتعلم لأنهم علموا يقينا أن الله لا يعبد بدون علم و بعدما تعلموا أقبلوا علي قلوبهم بتطهيرها و تخليصها مما يفسد عليهم العمل و يغضب عليهم الرقيب؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[2]﴾- أي مطلعا على السرائر و الظواهر فأيما قلب يراه مؤثرا له حفظه من طوارئ المحن و مضلات الفتن؛ قال رسول الله -ﷺ-: ﴿إن الله لا ينظر إلى أجسامكم، و لكن ينظر إلى قلوبكم[3]﴾-رواه مسلم-رحمه الله. فإن الصوفي الذاكر المستهتر بذكر الله عز

[1] جزء من حديث؛ و الحديث مذكور في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" ج٦، ص٢٥٨، رقم الحديث: ٣٥٥٩، المؤلف- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء: عشرة أجزاء، الناشر: مكتبة القدسي -انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[2] جزء من الآية رقم ١- من سورة "النساء".

[3] جزء من حديث صحيح؛ انظر "شرح النووي على مسلم"، ج١٦، ص:٣٩- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

وجل، أي المولع به ينظر إلى الله بعين قلبه كأنه يراه لشدة قربه منه و لصفاء سريرته أو بصيرته، قال رسول الله -ﷺ-: ﴿اعبد الله كأنك تراه[1]﴾، و في حديث آخر: "المؤمن ينظر بنور الله[2]" و لا يصل أحد إلى هذا السمو الإيماني و الصفاء الروحي و القرب الوجداني الذوقي إلا بالتربية الصحيحة و السلوك السليم الخالي من الأغراض الدنيوية و الحظوظ النفسانية و الأطماع المادية؛ فإن الصوفية قد سلكوا طريق الذكر بمعناه الواسع الشامل لجميع ما جاء به النبي-ﷺ-من عند الله من توحيد و بر و تقوى إلى آخره، و لازموا ذلك السلوك الجيد المستقيم بجد و صدق تقربا إلى الله عز و جل و رغبة فيما أعده لعباده الصالحين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر، حتى وصلوا بمنه تعالى و كرمه إلى الحياة بالله، حياة القلوب، حياة الذوق و الوجدان و الشهود و العيان، حياة الخروج من الظلمات إلى النور، حياة الذكر الدائم؛ ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ[3]﴾؛ ﴿مثل الذي يذكر ربه و الذي لا يذكر ربه مثل الحي و الميت[4]﴾ -حديث شريف؛ و قال تعالى:- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ (٣٧)[5]﴾؛ يعني قلبا حيا منيبا، أوابا يفهم عن الله الخطاب؛ و قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)[6]﴾. و أما أصحاب القلوب الغافلة عن الله القاسية من ذكره فهؤلاء أضل سبيلا من الأنعام،

و روى كذلك الطبراني في "المعجم الكبير"، ج٣، ص: ٢٩٧، رقم الحديث: ٣٤٥٦- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، الحديث: عن أبي مالك، قال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه، وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إلى أتقاكم".

[1] جزء من حديث صحيح؛ رواه الإمام أحمد؛ "مسند الإمام أحمد"، ج٢، ص:١٣٢، رقم الحديث: ٦١٢١- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب"، نص الحديث: عن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ببعض جسدي فقال: اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل".

[2] جزء من حديث مذكور في "سنن الترمذي"، ج٥، ص: ٢٧٩، رقم الحديث: ٣١٢٧- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب": عن أبي سعيد الخدري قال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله-ثم قرأ: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ".

[3] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[4] "صحيح البخاري"، ج٥، ص:٢٣٥٣- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[5] من سورة "ق".

[6] "الأحزاب".

قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)[1]﴾-فمعناه يقتضي أن الذاكرين الله هم على عكس ذلك، فهم يفقهون و يسمعون و يبصرون و يعقلون ما يؤمرون؛ و ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ[2]﴾، و هذا الشطر الأخير من الآية السابقة ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾؛ إنما هو حال الذاكرين، فكان وصفهم التذكر لأنهم في حضرة الذكر و غفلتهم فيها خفيفة لا تحجبهم عن عظمة المذكور-ﷻ، و هكذا المؤمن التقي يعيش في حضرة القرب ذاكرا شاكرا مرتاح البال في حصن حصين أمين من وسوسة الشيطان و إغوائه أو غوايته، و ذلك من حيث أن حضرة القرب تقتضي دوام شهود آيات الحق و الشعور بمعيته المطلقة المنزهة عما يظنه الجاهلون الغافلون، و لما كان حال المقربين صفاء محضا كانوا هم الأصفياء الأتقياء و قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة؛ أي من كل فتنة، و هؤلاء هم السعداء حقا لقوله-ﷺ-: «إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر فواها[3]».

التنبيه إلى خطر الفتنة في الدّين على المؤمن:

فليعلم الإخوان الصوفية علما يقينا أن الفتنة هي أشد ضرراً بالمؤمن من أي شيء، و من أي عدو مهما كان خطره؛ و لست أعني بالفتنة هاهنا فتنة الرجل في ماله و أهله و جاره،و لكن أعني فتنة الاختلاف في الدّين، كما أنني لا أعني الاختلاف في الدّين؛ الاختلاف الاجتهادي في المسائل الفقهية أو الأحكام الشرعية؛ و إنما أعني الاختلاف المسموم الذي يبطش بوحدة أمة الإسلام فيهلكها، أو قل يمزّقها و يشتتها ثم يزرع في قلوب أفرادها سُمّ العداوة و البغضاء، ذلك السُّم القاتل للرّوح الإيمانية التي هي أصل حياة المؤمن أو قل جذر حياته السعيدة، فإذا تمكن هذا الداء العضال من جسم الأمّة الإسلامية و فشا في جل أفرادها فحينئذ يصيبها الفشل و تذهب ريحها أي قوّتها فتصبح كغثاء السّيل لا وزن لها بين الأمم و المجتمعات المتقدمة ذات السيادة؛ و مع الأسف الشديد، قد وقع المحظور- نسأل الله السلامة و العافية. و هذا لا يعني بأي حال نفاد أهل الحقّ من الوجود، بل هم باقون ثابتون

---

[1] من سورة "الأعراف".

[2] جزء من الآية ٢٠١ من سورة "الأعراف".

[3] حديث حسن. "سنن أبي داود"، ج٤، ص:١٠٢، حديث رقم: ٤٢٦٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

على الحق إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، فلا تضرّهم فتنةٌ ما دامت السّموات و الأرض، كما جاء في صحيح الحديث، و لمزيد الفائدة؛ أنقل لكم البعض من الأحاديث الواردة في الفتنة، فعن حذيفة بن اليمان-ﷺ-قال، كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله-ﷺ-يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله و ماله و جاره؟ قالوا: أجل، قال تلك تكفّرها الصّلاة و الصّيام و الصّدقة، و لكن أيكم سمع النبي-ﷺ-يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القومُ، فقلت: أنا! قال: لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله-ﷺ-يقول: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عُودًا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصَّفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا كالكوز مُجَخِّيًا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه[1]"- إلى آخر الحديث.

إذن، فبعد تأمُّل هذا الحديث و فهم معانيه، فلا عجب و لا غرابة من وجود المتعصّبين لفتنتهم المؤيدين لها بتأويل بعض الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية كما قال عبد الله بن عمر-ﷺ-في رؤوس الفتنة-"الخوارج"-، أنهم ذهبوا إلى آيات من كتاب الله نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين[2]، و قولنا رؤوس الفتنة: أي أصولها؛ كما أخبرنا عن ذلك من لا ينطق عن الهوى-ﷺ- فعن جابر بن عبد الله ﷺ-أن النبي-ﷺ-كان يقسم مغانم فجاء رجل كثّ اللحية مشرف الوجنتين

---

[1] جزء من حديث في "صحيح مسلم"، ج١، ص:١٢٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث:- عن حذيفة؛ قال كنا عند عمر فقال أيكم سمع رسول الله-صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن؟ فقال قوم نحن سمعناه فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؛ قالوا: أجل! قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة. ولكن أيكم سمع النبي-صلى الله عليه وسلم- يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم؛ فقلت: أنا! قال: أنت لله أبوك! قال حذيفة:- سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه! قال حذيفة:- وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر! قال عمر أكسرا؟ لا أبا لك! فلو أنه فتح لعله كان يعاد! قلت لا بل يكسر! وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليط قال أبو خالد: فقلت لسعد يا أبا مالك ما أسود مربادا؟ قال: شدة البياض في سواد. قال قلت: فما الكوز مجخيا؟ قال: منكوسا. وحدثني ابن أبي عمر حدثنا مروان الفزاري حدثنا أبو مالك الأشجعي عن ربعي؛ قال لما قدم حذيفة من عند عمر جلس فحدثنا فقال: إن أمير المؤمنين أمس لما جلست إليه سأل أصحابه أيكم يحفظ قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في الفتن-وساق الحديث بمثل حديث أبي خالد.-إنتهى.

[2] جاء في كتاب:"التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، ج٢٣، ص٣١٩، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله

غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: اتق الله يا محمد، فقال رسول الله -ﷺ-: فمن يطع الله إن عصيته؟! أيأمنني على أهل الأرض و لا تأمنوني!! فقال خالد بن الوليد: ألا أضرب عنقه يا رسول الله؟ قال: لعله أن يكون يصلي، ثم نظر إليه و هو مُقفٍّ -أي ذاهب- فقال: "إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله لينا رطبا لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد[1]". و معنى يخرج من ضئضئ هذا: يعني من أصله لا من نسله، و صدق رسول الله: "قوله يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان[1]". لقد قاتلوا المسلمين في زمن الصحابة-رضوان الله عليهم، فقاتلهم الإمام علي بن أبي طالب-ﷺ-قتالا عنيفا-و قد نصره الله عليهم نصرا عزيزا، إلا أن هؤلاء و برغم فشلهم في الحرب القتالية و انهزامهم هزيمة شنعاء لا مثيل لها لم يستطيعوا النهوض بعدها، رغم ذلك كله، لم يكتفوا ولم يرجعوا عن فكرهم العدوانية للمؤمنين، أهل السنّة و الجماعة، و ظلوا يفكرون و يتدبرون في أمرهم فلم يجدوا غير سبيل تتبع عورات المؤمنين الصّالحين من هذه الأمة فرموهم بالعظائم، مثل

بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ عدد الأجزاء: ٢٤ - انظر "المكتبة الشاملة" ما نصه: "... وإذا نهي المسلم عن أذى أخيه المسلم في عمل البر ، وتلاوة الكتاب ، فأذاه في غير ذلك أشد تحريما ، وقد نظر عبد الله بن عمر إلى الكعبة ، فقال: والله إنك لك لحرمة ، ولكن المؤمن عند الله أعظم حرمة منك، حرم منه عرضه، ودمه، وماله، وأن لا يظن به إلا خيرا. و في نفس المصدر، ص:٣٣٥: " حدثني بكير بن عبد الله بن الأشج أنه سأل نافعا: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية؟ فقال: كان يقول: هم شرار الخلق ، انطلقوا إلى آيات أنزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين."

[1] جاء في "صحيح مسلم"، ج٢، ص:٧٤١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب" ما نصه: عن أبي سعيد الخدري؛ قال: بعث علي-رضي الله عنه- وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقسمها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس الحنظلي، و عيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان. قال: فغضبت قريش؛ فقالوا أتعطي صناديد نجد وتدعنا؟ فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كث اللحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتئ الجبين، محلوق الرأس- فقال: اتق الله يا محمد. قال: فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: فمن يطع الله إن عصيته أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني! قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله-يرون أنه خالد بن الوليد، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: إن من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد!"

البدعة و الشرك و الضلال، كما سبق في أثر ابن عمر-ﷺ-: "إنهم انطلقوا إلى آيات من كتاب الله نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين". و لم يكتفوا بهذا المكر السيء بل ذهبوا إلى أسوء من ذلك، فإنهم سبُّوا الصحابة-رضي الله عنهم-و شتموهم و قبحوهم و استنقصوهم، و لكن بقوة الإيمان، أي الصادق وكثرة المؤمنين الثابتين الراسخين لم يجدوا في الصدر الأول من هذه الأمة آذانا صاغية لأقوالهم المسمومة و لا محالاً قابلة لأفكارهم المشؤومة، و أما الآن، و قد مضت على المسلمين أربعة عشرة قرنا بأحداثها و وقائعها و أحزانها و آلامها مما لسنا بصدده-فإن الوباء قد عم و انتشر في جميع أنحاء المعمورة و بين فئات المسلمين كافة، و القلوب في هذه الحال كما تعلمون قد أصابها الوهن و أنهكها كثرة الاعتناء بالحظوظ و الأغراض المادية-﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2] و قد حذرنا الله-ﷻ-من الاغترار فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥)﴾[3].

التنبيه إلى خطر الغرور بالله و بيان لكيفية علاجه:

لقد أخبر الله-جل شأنه-عباده المؤمنين في هذه الآيات أن في الحياة الدّنيا متاعا و المتاع- هنا هو: الانتفاع و التلذذ بزهرة الحياة الدنيا و زخرفها، و لكن هذا المتاع ممزوج -مزجا محكما-لا يفطن له الكثير من الناس إلا القليل منهم و هم ذوو القلوب السّليمة الذين طهّر الله سرائرهم و نوّر لهم بصائرهم جعل لهم نورًا يمشون به في النّاس أي في جميع مجالات الحياة ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾[4] . و إن الغرور بالله في الحقيقة لسُمٌّ قاتل شديد الخطورة، و لهذا فإن الحق- ﷻ-حين أخبر بهذا الغرور

[1] جزء من الآية ١٤ من سورة "آل عمران".

[2] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "آل عمران".

[3] فاطر.

[4] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

بقوله -ﷻ-: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١] أعقبه بالنهي عن الوقوع في مراتعه المسمومة و بالتحذير من الغفلة عن أساليبه المعسولة فقال عز من قائل: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[٢]، و الغرور بالله داء عضال، و قبل التطرق إلى علاجه، لا بد من معرفة جذوره التي ينشأ منها و يتفرع عنها:-

• الجذر الأول: و هو أشدها ضررا، الغفلة عن الله و نسيان ذكره تعالى؛ قال -ﷻ-: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[٣]؛ و قال عز و جل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾[٤]

• الجذر الثاني: تزيين حب الشهوات؛ قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾؛ إلى قوله:- ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٥]

• الجذر الثالث: الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا المزخرفة التي ما هي إلا مجال للغفلة و اللهو؛ و التكاثر؛ و التفاخر؛ و التباغض؛ و التحاسد، كما أخبر بذلك سبحانه و تعالى بقوله: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢)﴾[٦]؛ و قوله: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا

---

[١] سبق تخريجها.

[٢] جزء من الآية ٣٣ من سورة "لقمان".

[٣] جزء من الآية ١٩ من سورة "المجادلة".

[٤] الحشر.

[٥] جزء من الآية ١٤ من سورة "آل عمران".

[٦] التكاثر.

الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[١] -إلى آخر الآية.

و أمّا علاج هذا الخطر الجسيم و الشرّ المستطير، فإنّه موجود و لكنه لمن طلبه و اضطر إليه، و إنّما اشترط الاضطرار هنا لقطع موانع اللامبالاة و التقاعس و التسويف عن الطالب الراغب في النجاة، و بما أنّ الغرور هو داء من جملة الأدواء[٢] فعلاجه و الوقاية منه أمر ممكن، لقوله -ﷺ-: "إن الله عز و جل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء[٣]"، علمه من علمه و جهله من جهله ، فالعلاج الناجع و الدواء النافع للخلاص من هذا الداء و النجاة منه يتمثل أولا في التصديق، و هو الإيمان القوي الثابت بصدق الله في قوله: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[٤]؛ و قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٥]، فإذا تمكن في التصديق و رسخت فيه الثقة بالله و بما وعد به عباده المؤمنين من فضله و نعمه في الدنيا و الآخرة -فإنه يسهل عليه الأمر و يُقبل على الله بالتقوى فيتقي جميع أنواع الغرور و هو كله ثقة بما وعد الله المتقين في قوله -جل و علا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)

---

[١] جزء من الآية ٢٠ من سورة "الحديد".

[٢] الدّاء: المرض، جمع: أدواء، القاموس المحيط، الكتاب: "القاموس المحيط"، ج١، ص: ٤٠، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

[٣] "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢١٥٠، رقم الحديث: ٥٣٥٤- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". وجدنا الحديث بهذه الصيغة: عن أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء".

[٤] جزء من الآية ٣٦ من سورة "الشورى".

[٥] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "آل عمران".

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3]، أي كَفِيْهُ، فإذا أحكم العبد أمور الإيمان و مسائل التقوى فإنه يكون قد وضع قدما في طريق التقرب إلى الله عز و جل متحليا في ذلك بصدق التوجه إلى الله و حسن الإقبال عليه مع المواظبة على ذكر الله تعالى في سره و علانيته، و لا يتم استئصال هذا الدّاء من جذوره إلا بالزهد في الدنيا و فيما في أيدي الناس؛ لقوله-ﷺ- ﴿ازهد في الدنيا يحبك الله و ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس[2]﴾. و ليس المراد بالزهد من هذا الحديث ترك الدنيا و التقاعس عن العمل، و إنما المراد به إخراج محبة الدنيا من القلب، كما أن الزهد فيما عند الناس معناه إزالة الطمع مما في أيديهم من متاع، و بهذه الخصال الحميدة و السجايا الطيّبة الزكيّة يستطيع المؤمن أن يتحصّن بالله من الشرّ و أهله، و من الشيطان الرّجيم و حزبه و ينجو من الغرور بإذن الله تعالى.

ضرورة صحبة قدوة صالحة في سلوك طريق الحق:

- كما أنه لا بد لمريد السلوك، سلوك طريق التقرب و المناجاة، طريق الصديقين، من صحبة أناس صالحين يأخذ عنهم تربيته و آدابه و كيفية السُلوك السّليم-فصحبة هؤلاء شرط ضروري في النجاة من مكائد الشيطان و وساوسه لقوله-ﷺ-"...فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية[3]" فالذئب هو الشّيطان و الغنم هي جماعة المؤمنين الصالحين أهل السُّنة و الجماعة، فكل من خرج عنهم فهو من سهم الشيطان، إلا من أدركه الله بسابق عنايته و جمع شمله بأهل الحق الموجودين في بلده و بيئته-فإنهم حصن حصين لمن صحبهم و اقتدى بهم كما جاء في الحديث الصحيح: "...

[1] من سورة "الطلاق".

[2] حديث صحيح. مذكور في "المعجم الكبير" للطبراني، ص:1763 رقم الحديث:5833، رقم الحديث في المطبوع:5976-"موسوعة جوامع الكلم".

[3] جزء من حديث "حسن". انظر "سنن النسائي الصغرى"، ص:217، رقم الحديث: (ر/م):-838/847-موسوعة "جوامع الكلم". نص الحديث:عن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال: قال لي أبو الدرداء أين مسكنك؟ قلت في قرية دوين حمص-فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم يقول: ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان؛ فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب القاصية!"

هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[1]" و معنى الجلوس هنا الصحبة و التربية-و الله و رسوله أعلم، ففي معنى هذا الحديث قال بعضهم: " و الله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح[2]"، و في الحديث:- ﴿المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل[3]﴾، فإنّ في هذا الحديث فائدتين عظيمتين:-

- **الفائدة الأولى:** التحذير من صحبة الأشرار، ذلك لأنّها سبب في الشقاء و الخسران يوم القيامة و كذا ما ينجر عنها من الويلات.

- **الفائدة الثانية:** الترغيب في صحبة الأخيار و الحثّ عليها و ذلك لأنّها مفتاح عظيم لسعادة الدّارين؛ "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، و خصوصا في عصرنا الحاضر الذي عمّ فيه الفساد و انتشر فيه الوباء، و النّاس في غفلة عن استعمال الوقاية و الدّواء، فالوباء هو حبّ الاستمتاع بظاهر الحياة

[1] جزء من حديث صحيح رواه مسلم، ص:1837، رقم الحديث (ر/م):4860/2691-موسوعة "جوامع الكلم".

[2] جاء في كتاب "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج1، ص:527 -"المكتبة الشاملة"، المؤلف: -أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، المحقق:-أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي-القاهرة، الطبعة: 1419 هـ؛ ما نصه:-

أ) ج1، ص173: "قلت: والله ما رأينا الفلاح والخسران إلا من الخلطة. قال بعضهم: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، ولا سيما صحبة العارفين فساعة معهم تعدل عبادة سنين بالصيام والقيام وأنواع المجاهدة، ولله در الجيلاني «1»- رضي الله عنه- حيث قال:-

فَتَمَسَّكْ وَلُذْ بِالأَوْلِيَاءِ فَإِنَّهُمْ ... لَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ تِلْكَ الوَقَائِعُ
هُمُ الذُّخْرُ لِلْمَلْهُوفِ وَالكَنْزُ لِلرَّجَا ... وَمِنْهُمْ يَنَالُ الصَّبُّ مَا هُوَ طَامِعُ
بِهِمْ يَهْتَدِي لِلعَيْنِ مَنْ ضَلَّ فِي العَمَى ... بِهِمْ يُجْذَبُ العُشَّاقُ وَالرَّبْعُ شَاسِعُ
هُمُ النَّاسُ فَالزَمْ إِنْ عَرَفْتَ جَنَابَهُمْ ... فَفِيهِمْ لِضُرِّ العَالَمِينَ مَنَافِعُ**

**) البيت الأخير جاء في ديوان الجيلي، ص: 89، مسبوقا ببيت هو:-

هم القصد والمطلوب السّؤل والمنى ... واسْمُهُم لِلصَّبِّ فِي الحُبِّ شَافِعُ

ب) ج1، ص:527: "فإن يد الله مع الجماعة"، فالصحبة عند الصوفية شرط مؤكد وأمر محتم. "والله ما أفلح مَن أفلح إلا بصحبة من أفلح"، فالنفس الحية لا تموت مع الأحياء، وإنما تموت مع الأموات، فهي كالحوت ما دامت في البحر مع الحيتان لا تموت أبدًا، فإذا أخرجتها وعزلتها عن أبناء جنسها ماتت سريعًا."

[3] حديث حسن-"مسند الإمام أحمد"، ص:2067 رقم الحديث(ر/م):8216/8212-"جوامع الكلم".

الدّنيا و زينتها-و من خطورة هذا الوباء أن صاحبه لا يحس و لا يشعر بالألم، بل هو عكس ذلك، فإن له حلاوة و شهيّة تدعو إلى المزيد منه، و إن من خصائص هذا الوباء الخطير أنه يغذي المظهر و يهلك الجوهر. و إنّي أعني بالمظهر كل شيء يحب الإنسان أن يتظاهر به و يتباهى به، و أما الجوهر فأعني به القلب، و القلب هو موضع الأمانة أو قل هو موضع الإيمان لكون الأمانة و الإيمان شيئا واحداء و الدليل على ذلك قوله-ﷺ-"....نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال[1].." إلى آخر الحديث، و قوله-ﷺ-"...لا إيمان لمن لا أمانة له[2]..."، و قد ترفع الأمانة و يرفع الإيمان من القلوب و الناس نيام-لا يشعرون؛ و علامة ذلك اختفاء الصدق و ذهاب الثقة ما بين معظم أفراد و جماعات المجتمع الإسلامي على جميع مراتبهم و مقاماتهم كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم-رحمه الله-في باب رفع الأمانة و الإيمان من بعض القلوب، فعن حذيفة-ﷺ-قال حدثنا رسول الله عن رفع الأمانة؛ فقال:"..... ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط-فتراه منتبرا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان! ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما رده علي الإسلام وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا[3]".و معنى هذا الحديث كما جاء في شرح الإمام النووي-رحمه الله-قال: "إن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا فإذا زال جزءٌ منها زال نورها و خلفتْهُ ظلمة كالوكت و هو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فإذا زال شيء آخر صار كالمجل و هو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، و هذه الظلمة

[1] جزء من حديث رواه البخاري؛ "صحيح البخاري"؛ج٥، ص:٢٣٨٣، رقم الحديث: ٦١٣٢-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة قال: "حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها؛ قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجْل كجمر دحرجْتَهُ على رجلك فَنَفِطَ فتراه مُنْتبِرًا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة؛ فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان! ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت؛ لئن كان مسلما رده علي الإسلام؛ وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا."

[2] جزء من حديث "صحيح"؛ "مسند أحمد بن حنبل"؛ص:٢٩٨٥، حديث رقم (ر/م):١١٩٧٥/١٢١٥٥-"جوامع الكلم".

[3] انظر أعلاه.

فوق التي قبلها، ثم شبّه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب و خروجه بعد استقراره فيه و اعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر و يبقى التنفط[1]...."-انتهى

كيفية المحافظة على رسوخ الإيمان بلزوم المحاسبة و المراقبة:

إن لهذا الحديث عبرا و عظات يجب على المؤمن اقتباسها و الاتعاظ بها لتدوم سلامة إيمانه و أمانته، فإنه يجب على كل مؤمن ذي فطنة أن يكون دائم الحرص على ما يتقوى به إيمانه و يحفظ له أمانته من العطب و ذلك يكون بأمرين:-

- بالمراقبة لله عز و جل؛
- و بالمحاسبة للنفس.

فمن راقب الله فقد أطاعه و مَنْ حاسب نفسه قوّم اعوجاجها و أصلح فسادها و قادها إلى الفلاح؛ كما قال تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا () وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا(١٠)[2]﴾، و في الحديث:-﴿الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله[3]﴾. فإذا كان هنالك من يسأل عن كيفية عمل المراقبة، نقول له: فبعد امتثال أمر الله و اجتناب نهيه، يشرع المؤمن الصالح في عمل المراقبة، و لمّا كانت المراقبة لله-ﷻ-من أعمال القلوب، فإن أول ما يقوم به أن يُشْعِرَ قلبه و يُحِسَّ نفسه بمعيّة الله و باطّلاعه التّام على سِرّه و علانيته ثم يرتقي إلى التفكر في خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار، بل يتفكر في جميع المخلوقات، كما جاء في

[1] "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، ج٢، ص:١٦٩، للمؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

[2] من سورة "الشمس". جاء في معنى "و قد خاب من دساها" في كتاب "حدائق الروح و الريحان"، ج٢، ص:٤٤-"المكتبة الشاملة"، للمؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٣٣ (٣٢ ومجلد للمقدمة)-ما نصه: "والمعنى: أقسمت بهذه الأمور العظام المذكورة على أنه قد فاز بكل مطلوب، ونجا من كل مكروه، من أنمى النفس وأعلاها بالتقوى؛ أي: رفعها وأظهرها وشهرها بها، فأهل الصلاح يظهرودن [تنبيه: هكذا وجدت الكلمة:"يظهرودن"-و قد تكون خطأً في الطباعة و قد تكون في الأصل:"يظهرون"] ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم إلى الملأ الأعلى، وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات، بخلاف أهل الفسق، فإنهم يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية، لا يلوح عليهم سيما سعادة...."-إنتهى بتصرف بسيط.

[3] "جامع الترمذي"؛ص:٩١١، رقم الحديث(ر/م): ٢٣٩٦/٢٤٥٩-"جوامع الكلم".

القرآن الكريم، ثم يرتقي بسرّ إيمانه و بفضل الله و رحمته إلى شهود دقائق و حقائق معرفة الحق جل و علا، فإذا دخل فضاء الشهود و أشرق عليه نور الوجود، قال بلسان الحال و المقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[1]- و هنالك يتحقق العبد باطّلاع الحق عليه على الدوام، و هو معه حيثما كان، فيفقه معنى قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[2]، فلا يجد موضعا و لا وجهة و لا مكانا يعصي فيه الحق تعالى باستثناء ما يقتضيه وصف وجوده المخلوقيّ من غفلة و نسيان و خطأ و كذا من باب: - «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[3]، فصدور المخالفة في حقه جائز ممكن -و لكن بفضل الله و عفوه لا تضره تلك المخالفة إن شاء الله تعالى ما دام العبد توابا إلى الله تعالى لقوله عز و جل: - ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]، و قوله- ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[5]؛ فإن التّوّاب الحقيقي هو المؤمن الكامل الإيمان، الذي انعدم من قلبه تأثير غير الله عز و جل، و أعني بالتأثير هنا حقيقة الضّر و النّفع، فصار لا يرجو إلا الله و لا يخاف إلا من الله، فإذا صدر منه ذنب لا يفزع إلا إليه لعدم وجود غيره، و هذا الوصف لا يوجد إلا للعارفين بالله؛ لقول ابن عطاء الله -رحمه الله:- "العارف بالله لا يزول اضطراره و لا يكون مع غير الله قراره". و إن هذه المنزلة العالية إنما هي منزلة المقرّبين في مقام "كأنك تراه"؛ بل في منتهى مقام الإحسان ضمن قوله- ﷺ: "فإنّه يراك" من حديث الإسلام و الإيمان و الإحسان المشهور في صحيح الشيخين و عند غيرهما؛ فهذا الجزء الأخير من الحديث يتضمن رسوخ المعرفة بالله و دوام المراقبة له تعالى، و المراقبة عند أهل العلم بالله هي دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى. قاله الإمام القشيري رحمه الله في "الرسالة القشيرية"، و قال آخرون: "المراقبة هي علم العبد باطلاع الربّ سبحانه و تعالى عليه[6]"-في سرّه و علانيته؛ فالمراقبة إذن هي من أعمال القلوب الطاهرة، و لا

[1] جزء من الآية ١٩١ من سورة "آل عمران".

[2] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[3] "سنن الدارمي"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢٥١- "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[4] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[5] حديث "صحيح"؛ "سنن ابن ماجة"، ج٢،ص:١٢٦١، حديث رقم: ٤٢٥٠- "جوامع الكلم".

[6] "الرسالة القشيرية"-موسوعة "المكتبة الشاملة"، ج١، ص:٣٢٩، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

يكاد العبد يصل إلى كنه المراقبة إلا بعد الفراغ من المحاسبة، و إنّا إذا تصفحنا سيرة الصوفية الحقيقيين و تربيتهم و سلوكهم نجدهم قد بَنَوْا أمرهم في هذه المسائل الثلاث على هاتين الدّعامتين العظيمتين:-

- المحاسبة؛
- و المراقبة؛

لأنهم أدركوا جيّدا أن الأعمال بدون هذين الأمرين هي كالأشجار من غير ثمار، تورق و تخضّر و لا تثمر، و في هذا المعنى قال بعضهم: "ليس المراد من نزول الأمطار وجود الاخضرار، و إنما المراد من نزولها وجود الثّمار". و حقيقةً إذا أمعنّا النظر في هذه المسألة و تناولناها و تأمّلناها باهتمام فإنّنا نجد أن الصّدق و الإخلاص و التقوى لا ينفعون صاحبهم إذا خلا من المحاسبة و المراقبة[1]، و ذلك لسبب بسيط هو اللّهو و الغفلة عن ذكر الله، و في هذه الحال لا مناصّ من أن يُتبِعَ العبدُ نفسَهُ هواها و يتمنّى على الله الأماني. و في نهاية المطاف يجد نفسه من المفلسين الذين يأتون يوم القيامة بأعمال صالحة فيأخذها ذوو الحقوق من المظلومين، و ذلك هو الخسران المبين، فبالمحاسبة و المراقبة فقط قد يفوز المرء مع الفائزين يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الصدق مع الله أساس الدين:

أما العِبْرةُ الأخرى من حديث رفع الأمانة من القلوب فهي اجتناب الفتن و الأسباب التي تؤدي إليها مع الابتعاد الكامل أو الكلي عن الفتّانين، زرّاع الفتنة، فإنه يجب في هذه المسألة اليقظةُ و الحذر، لأنّ الفتن تعرض على القلوب كالحصير عودا عودا، و من غرورها أنّها تعرض مزيّنةً بزينة جذّابة، كمثل الحيّة، ناعم لمسُها، قاتلٌ سمّها، و ضربنا المثل هنا بنعومة اللمس لأنّ الغافل الغارق في سراب أحلامه و تخلية أمانيه كالأعمى، لا يدرك الأشياء و لا يميّزها إلا باللمس، و من العبر المثمرة المفيدة النافعة في هذا المجال التفكرُ الجادّ مع شدّة الاهتمام في البحث عن وجود مخرج سليم من هذا النفق المظلم المخيف، أو قل من هذا السبات العميق المفلس، فإن نحن اعتنينا بهذا الموضوع و أعطيناه حقّه من الاعتناء و الاهتمام، لا شك أننا نصل في نهاية البحث إلى الرجوع الاضطراري إلى الله و ذلك ما يسمّى بالتوبة النصوح التي ذكرها الله في القرآن الكريم في حقّ سيّدنا كعب بن مالك و صاحبيه- رضي الله عنهم -و الاضطرار هو أن تُسَدَّ الأبوابُ، كلُّ الأبواب في وجه المشرف على الهلاك، كما جاء في القرآن الكريم في أواخر سورة التوبة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ

[1] المقصود: "مقام الإحسان"، و الثمار هي ثمار المعرفة بالله.

﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨)﴾[١]، و هذا الذي صدر من هؤلاء الثلاثة هو حقيقة الصدق الخالص مع الله -ﷻ-، او ذلك لأن المخلفين كانوا كثيرين و قد قدموا معاذيرهم إلى رسول الله -ﷺ- فقبلها منهم إلا الثلاثة؛ كعبا و صاحبيه -رضي الله عنهم- لجؤوا إلى الصدق مع الله و ذلك لشدة صفاء حالهم و كمال طهارة قلوبهم، قال كعب بن مالك -رضي الله عنه-: "فلما رجع رسول الله -ﷺ- من غزوة تبوك و جلس للناس جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه و يحلفون له و كانوا بضعة و ثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله -ﷺ- علانيتهم و بايعهم و استغفر لهم و وكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلَّمْتُ تبسَّم تبسُّم المُغضَب -ثم قال ما خلفك؟ فقلت يا رسول الله إني و الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر و لقد أعطيت جدلا و لكني علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكنَّ الله أن يسخطك علي و لئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، و الله ما كان لي عذر و الله ما كنت قط أقوى و لا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله -ﷺ- أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله عز و جل فيك[٢]" إلى آخر الحديث؛ فالحديث طويل و من أراد مطالعته فليراجعه في صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- (باب التوبة).

إنما أوردنا هذه القصة من أجل إظهار فضيلة الاضطرار إلى الله عز و جل و فائدة الصدق مع الله تعالى، و ليعلم الإخوان، جماعة الإخوان الصوفية، أنّ الدّين كله ينبني على الصدق، و لذلك أمر الله عباده المؤمنين أن يتقوه و أن يكونوا مع الصادقين؛ فقال عزّ من قائل:- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩)﴾[٣]، أي كونوا مع رسول الله -ﷺ- و أصحابه و من كان منهم في الصدق و الوفاء إلى يوم الدين، و أكثر المفسّرين قالوا: "الصّادقون" هم الذين صدقوا في دين الله و فيما عاهدوا عليه من الطاعة، نيّة و قولا و عملا، و قيل أي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصدق و الثبات عليه، و من علامات الصدق الثبات على الحق مع عدم التبديل و التغيير

[١] التوبة.

[٢] "صحيح مسلم"، ج٤، ص:٢١٢١، رقم الحديث: ٢٧٦٩-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[٣] التوبة.

و الاضطراب في الأمور، كما جاء في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا (٢٣)﴾[١]، فالصدق طريق مأمون للوصول إلى الجنتين:-

- جنة القرب للقلوب في الحياة الدّنيا؛
- و جنّة الخلد يوم القيامة؛

أي في الآخرة، لقوله -ﷺ-: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا! وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا[٢]». و كان الشيخ سيّدي عبد القادر الجيلاني -رضي الله عنه- يقول للصادقين من أهل زمانه: "هات الصّدق و خذ المعرفة"؛ فالمراد من كلام الشيخ، و الله و رسوله أعلم ،أن العائق عن الوصول إلى معرفة الله عز و جل هو عدم وجود الصّدق في الطلب و التوجه.

و ختاما، فما على الراغبين الذين يريدون أن يرتعوا في رياض الصدق و الصدّيقين إلاّ أن يبحثوا عن أهل الصّدق الحقيقي-لا التقليدي المزيّف، و ليبذلوا ما في وسعهم من جهد في طلب هؤلاء الرّجال لأجل الصحبة و سلوك طريق الصدّيقين، و ليبدءوا في بحثهم بمطالعة كتب سيرتهم الزاخرة بمعاني و أسرار و ثمار الصدق مع الله، و من الكتب التي أنصح الطلاب أن يطالعوها؛

[١] الأحزاب.

[٢] "صحيح مسلم"، ج٤، ص:٢٠١٣، رقم الحديث:٢٦٠٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ[1]﴾، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ[2]﴾ -صدق الله-

الحمد لله الّذي شرح صدور عباده الصّالحين بنور ذكره، و أنس قلوبهم بلذيذ قربه، و حلاوة مناجاته، فأغناهم به عن غيره، و صلّى الله على سيّدنا و مولانا مُحمّد قدوة الذّاكرين، ورحمة الله للهداة إلى خلقه أجمعين، و على آله وصحبه، و من والاه إلى يوم الدّين.

من عبد ربه الحاج أحمد، وكافّة الإخوان الذّاكرين، الشّاكرين، بناحية خميس الخشنة[3] و بوزريعة[4] صانهم الله ورعاهم، ولحضرة قدسه اجتباهم واصطفاهم، إنّه نعم المولى، و نعم النّصير و هو على كلّ شيء قدير.

إلى طيّب النشأة، صافي المودّة، الولد الصّالح ....، أفاض الله عليك من مواهبه اللدنيّة،و أسرار توحيده الخفيّة، و نفحك من نفحاته الطيّبة الزكيّة ما يجعلك مولعا بذكره، متلذذا بقربه، حتى لا تلتفت إلى سواه و غيره، فتتحقّق بحقيقة قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ[5]﴾ و حينئذ تكون من الرّجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وما ذلك على الله بعزيز. و السّلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، وحفظه، ورضوانه، ما دمتم لله ذاكرين شاكرين، و عليه مقبلين، و إليه متوجّهين، و عن غيره معرضين و مدبرين؛ وهذا هو معنى حقيقة السلوك إلى معرفة ملك الملوك. قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: "الملازمة، و المخالفة. للملازمة لذكر الله تعالى، و للمخالفة لما يشغل عن ذكر الله- و هذا هو السفر إلى الله[6]" -انتهى.

---

[1] جزء من الآية ٢٢ من سورة "الزمر".

[2] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

[3] مدينة تقع في جنوب غرب العاصمة الجزائرية و تبعد عليها بحوالي ٥٢ كيلومتر و هي تقع قريبا من مقر زاوية أستاذنا و شيخنا أحمد حبيب -رعاه الله، صاحب هذه الرسالة.

[4] مدينة من مدن الجزائر العاصمة.

[5] جزء من الآية ١١٥ من سورة "البقرة".

[6] جاء في كتاب أبي حامد الغزالي -رضي الله عنه- "جواهر القرآن"، ج١ص٢٨ -"للمكتبة الشاملة" في تعريف طريق

وبعد:

لقد وصلتني رسالتك القيّمة الشيّقة، المليئة بصفاء الأحوال، و أطيب الأقوال، فقرأتها و أعدت قراءتها عدّة مرّات لما فيها من سرّ الصّدق و الإخلاص، كما أنّي سررت بما كتبوا، خصوصا لمّا أخبرتنا بأنّك ملازم للذكر ومداوم عليه. فلتدم أيها الولد الصّالح لله ذاكرا، شاكرا، و في معرفته راغبا، ولفضله طالبا، واعلم أنه لاشيء تتشوق له النّفوس الطّاهرة، و القلوب النّيرة، كالقرب من الله تعالى، وأنت يا سي........ قد منّ الله عليك بصحبة عباده الذّاكرين، ثم وفّقك وهداك إلى أطيب و أعزّ شيء و هو ذكر إسمه المفرد الإسم الأعظم، فاثبت عليه، وافن فيه، ولا تصغ و لا تلتفت لما سواه، وإن بدا لك غير فامحه[1] باسم الله، ولا تخف سوء حجب ما دمت تذكر الله، كما أبشركم، أنت وصاحبيك سي .... و سي .... بشروق الأنوار عليكم، لقد أشرقت عليكم أنوار قدسه، وطلعت عليكم بدور أنسه، وهذه الأنوار هي أنوار البداية، و هي تدل على ثبوت أنوار النهاية كما أشار إلى ذلك ابن عطاء الله -رضي الله عنه- بقوله: "من أشرقت بدايته أشرقت نهايته". إذن فهنيئا لكم بهذا الفضل العظيم و الفوز الكبير، و ما الفضل والنّعمة إلّا من عند الله الكريم الوهّاب.

و أمّا قولك أنك كنت تنتظر من الخلوة و بعد الخلوة أن تكون هائما في الله، غائبا عمّا سواه من قوّة التجلّي الإلهي على عبده الذّاكر إلى آخره؛ فاعلم -علّمك الله من علمه اللدنّي المكنون، أنّ الأمر ليس كما يتصوّره الإنسان في عقله أو فكره، و إنّما الأمر هو كما يريده الحكيم العليم اللطيف الخبير. و من حكمته ولطفه بعباده أنه يتجلى لهم على قدر استعدادهم و طاقتهم وذلك رحمة بهم؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ[2]﴾. و كلما قوي استعدادهم لتقبّل مواهب الحقّ ونفحاته -إلّا و ازدادوا ذوقا وانشراحا واطمئنانا وهكذا يكون ارتقاء العبد الذاكر في معارج القدس شيئا فشيئا حتي يكون العبد دائما طالبا للمزيد، سالما من الإدّعاء و الملل اللّذان هما آفتان مفسدتان لحال الذّاكر؛ حيث أنّهما يشغلانه و يلهيانه عن

السلوك إلى الله تعالى ما نصه: " وذلك بالتّبتّل ؛كما قال الله تعالى "وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا" -أي انقطع إليه، والإنقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، والإعراض عن غيره، وترجمتُهُ قوله: "لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا" . والإقبال عليه إنما يكون بملازمة الذّكر، والإعراض عن غيره؛ يكون بمخالفة الهوى والتّنقّي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها، والفلاحُ نتيجتها كما قال الله تعالى:" قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ" .فعمدةُ الطريق أمران: الملازمة، والمخالفة. الملازمة لذكر الله تعالى؛ والمخالفة لما يشغل عن الله -وهذا هو السفرُ إلى الله، وليس في هذا السفر حركة، لا من جانب المُسافر، ولا من جانب المُسافرِ إليه، فإنهما معاً، أوَما سمعتَ قوله تعالى وهو أصدق القائلين: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"؟

[1] فامحه: أي أزل أثره في قلبك بذكر الإسم المفرد.

[2] جزء من الآية ٨٧١ من سورة "البقرة".

غاية مقصوده المنشود. و على هذا فالمطلوب من صاحب هذا المقام هو ما قاله شيخ شيخنا[1] رضي الله عنه:-

مريدا بادر بقلب حاضر	لسان ذاكر بقولك الله
جاهد تشاهد كل الفوائد	سرّ الأماجد في ذكرك الله

وكذلك قوله:-

أذكر الله يا رفيقي	وتوجه للمرام
واقصد الحقّ الحقيقي	إنّما الخلق عدَم

و المراد من هذا الكلام هو الحثُّ على دوام الصلة بالله، و الترغيب فيما عند الله. فدوام الصلة يقتضي توالي المدد مع مزيد للمواهب، و النفحات، و القربات، و أما الترغيب فيما عند الله؛ فقال تعالى:- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ[2]﴾؛ و معناه : أنّ الباقي هو الذي لازال باقيا على أصله منسوبا لله دون سواه، و أما الذي ينفد فهو الذي ادّعاه الناس و مزجوه بصفات نفوسهم و أفكارهم وأهوائهم، فأصبح ذلك في نظرهم الوهمي العاطل ملكا لهم، و حيازة لهم و الحقيقة خلاف ذلك. و على هذا؛ فالعبد الصّالح هو الذي يرى أن جميع ما عنده من النعم، و الخير، و البركة، و الفضل، و الرحمة، وقس على ذلك مّما لا يحصى من النعم-هو من الله، و يعلم يقينا أن العبد وما ملك لسيّده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ[3]﴾ وقال عز وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا[4]﴾. هذا فيما يخص الخير، و الفضل، و النّعمة لأن الخير هو شيء وجودي حقيقي، و الشرّ أو السّوء؛ هو شيء وهمي خيالي خلقه الله للابتلاء و الامتحان، قال عز و جل: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا[5]﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ

---

[1] الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري-قدس الله سرّه.

[2] جزء من الآية ٩٦ من سورة "النحل".

[3] جزء من الآية ٥٣ من سورة "النحل".

[4] جزء من الآية ٧٨ من سورة "النساء".

[5] جزء من الآية ٢ من سورة "الملك".

مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ[1]﴾ و هذا دليل واضح على أن كل السّيئات هي من اكتساب النّاس، و الله بيده الخير و هو على كل شيء قدير، ومن يتق الله يقيه السّيئات ويؤتيه خيرا كثيرا.

و الّذي أوصيك به و جميع إخوانك الذّاكرين، أهل الذّكر الخاص، هو أن واصلوا الذكر، والبتوا عليه، واصبروا مع الله فيه لأنه، أي الذكر، باب الله الأعظم، كما قال القوم:"الذكر أعظم باب أنت داخله فاجعل له الأنفاس حراسا". وإنّي لمسرور بكم جدا جدا لما رأيته فيكم من طهر، وصدق، و إخلاص، وصفاء. فهنيئا لكم، طبتم وطاب مسعاكم، و أعانكم الله على مقصودكم، وبلوغ مرامكم. وبلغ، أيها الولد الكريم، سلامنا الخالص إلى سائر الإخوان الفقراء الذاكرين بني صاف[2]، و عين تموشنت، و خصوصا أخينا المحترم سي المقدم رعاه الله وثبت خطاه و بلغه من الخير ما يتمناه، و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و دمتم في رعايته وحفظه. آميـــن.

عبد ربه الحاج أحمد حبيب في ١٩٩٩/١١/١٥م.



الرسالة الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الشكر لله، على ما أنعم علينا به من نعمة الإسلام و الإيمان و الإحسان، و جعلنا في خدمته بلا حظ و لا غرض و لا علة، و صلى الله على سيّد الأنام الذي أرسله الله بشيرا و نذيرا، و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا، و على آله و صحبه و سلم تسليما.

من عبد ربه الحاج أحمد و جماعة الإخوان الصوفية بناحية خميس الخشنة الجمهورية الجزائرية صانهم الله

---

[1] جزء من الآية ٧٩ من سورة "النساء".

[2] مدينة في غرب الجزائر و قرب مدينة تلمسان.

و سدد خطاهم آمين، إلى طيّب النشأة، خالص المودة، سيّدي....... ، و كافّة أفراد أسرته، و جميع إخوانه في الله و لله، حفظ الله الجميع، و السّلام عليكم ورحمة الله، و بركاته و رضوانه، مادمتم لله ذاكرين خاشعين، و بسنّة رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله و سلم-عاملين، و لهدي سلفنا الصّالح متنهجين، و على عهد الله، و المحبّة الإلهية الربّانية محافظين و ثابتين، و الله مع الذين اتقوا و هم محسنون، و هو يتولى الصالحين، و بعد:-

لقد وصلتني رسالتك القيّمة التي ملؤها المحبّة الصّادقة، و الصّدق، و الإخلاص، و الصّفاء في إقبالكم على الله و توجّهكم إليه، وهذا من فضل الله علينا و عليكم، فلتدوموا لله ذاكرين شاكرين. و اعلموا أنّ خير أعمالكم، و أزكاها عند مليككم، هو ذكر الله عزّ وجل كما جاء في الحديث الشريف أنه-ﷺ؛ قال لأصحابه-رضوان الله عليهم: " ألا أنبؤكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب و الفضة، و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم؟ قالوا ما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله"[1]. و كذلك الدّوام على العمل الصّالح هو محبوب عند الله تعالى ؛ قال رسول الله-ﷺ: "... و أحبّ الأعمال إلى الله أدومه و إن قلّ"[2]. هذا و لقد دعونا لك و لجميع أفراد أسرتك بكل خير، و صلاح، و سعادة الدارين، و الله لا يضيع أجر المحسنين. و اعلم أيها الأخ الكريم، علمك الله من علمه اللدنّي المكنون، و أمدّك بسرّه الخفيّ المصون، أن ذكر اسم الله المفرد الأعظم هو طريق ذوي الهمم العالية، و المنازل السّامية من عباد الله الصالحين، و هو أيضا السّبيل الوحيد للخروج من الظلمات إلى النور، أي من ظلمات الغفلة عن الله إلى نور الذكر، أو تقول من ظلمات الجهل بالله إلى نور العلم و المعرفة بالله-ﷻ. و علامة الخروج من الظلمات إلى النور هو أن يتحقق العبد الذاكر من معنى قوله تعالى:- ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ[3]﴾ و الذّكر هنا هو الشّهود و هو بالقلب و البصيرة،

[1] انظر "مجمع الزوائد و منبع الفوائد"، ج١٠، ص:٣٧، رقم الحديث:١٦٧٤٤-"المكتبة الشاملة". صيغة الحديث الذي وجدناه هو: " عن معاذ بن جبل : أنه قال : قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم : " ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله " . وقال معاذ : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم، أزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم ؟ ". قالوا : بلى يا رسول الله! قال : " ذكر الله- عز وجل! " .

[2] جزء من حديث صحيح رواه البخاري، ج٤، ص:٢٣٧٣-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث: عن عائشة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل!"

[3] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

لا بالقالب و البصر. و معنى هذا أنّه إذا تنوّر القلب، رأى النور شارقا على السموات و الأرض و ما فيهن، فيشاهد ذلك بنور الله، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[1]﴾ إلى آخر الآيات، و المراد هنا بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ[2]﴾؛ يعني مثل نور الله في قلب عبده المؤمن، و في آية أخرى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ[3]﴾. و من ههنا ندرك أن قلب المؤمن يرى بنور الله، كما هو معروف عند عامة الناس أن الإنسان يرى نور الشمس بنور البصر، فكذلك القلب يرى نور الحقّ المطلق بنور البصيرة، و بالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

و لنرجع إلى موضوع ذكر الاسم الأعظم و فضله و شرفه، ولمزيد التوضيح و البيان نسوق إليك قصة العالم الجليل، و الولي الصّالح الشّهير، الإمام أبي حامد الغزالي-رحمه الله-وها هو يروي قصته قائلا:- "ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد، و الصّوم، و الصّلاة. فلما علم الله صدق نيتي، قيّض لي وليّا من أوليائه، قال لي: يا بنيّ إقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده، واخل بنفسك، و اجمع همتك، وقل الله، الله، الله! و لا تزد على ما فرض الله عليك شيئا إلا الرواتب، وقل هذا الإسم بلسانك، و قلبك، و سرّك، و أحضر قلبك، واجمع خاطرك، و مهما قالت نفسك ما معنى هذا، فقل لها لست مطلوبا بمعناه، و إنما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨)[4]﴾-انتهى كلام الإمام الغزالي-رحمه الله-.

أيها الصديق الحميم، لقد أنعم الله عليك بصحبة الذاكرين، فأصبحت ذاكرا، و في وقت قصير وفّقك بمنّه، و كرمه إلى ذكر إسمه الأعظم. فأنت الآن، إن شاء الله، سائر على منهاج القوم الذين لا يشقى بهم جليسهم، فاثبت على ما أنت عليه، و كن من الشّاكرين، واذكر الاسم وفقا للكيفيّة التي لقّنها لك ذلك الرجل الصالح سيدي .... ، إنه من الرّجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، و كان من المربّين من سيّدنا الشيخ رضي الله عنه و أرضاه. و بلغ السّلام منّا إلى كافّة أفراد أسرتك الطيّبة، و إلى جميع الإخوان في الله، وفّق الله الجميع إلى ما فيه رضاه، و أعاننا الله و إيّاكم جميعا على ذكره، و شكره، و حسن عبادته، آمين. إلى فرصة أخرى، إن شاء الله،و دمتم في رعاية الله و حفظه.

أخوكم في الله، الحاج أحمد،يوم: ٢٠٠١/٠٣/٢٠م.

[1] جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

[2] جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

[3] جزء من الآية ٤٠ من سورة "النور".

[4] المزمل.

الرسالة الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي أودع لطائف أسراره في قلوب العارفين، وجعل البيان طريقا لوصولها إلى المسترشدين، و الصّلاة و السّلام على أفصح الأنبياء لسانا، و أوضحهم بيانا، سيّدنا و مولانا محمد، و على آله، و أصحابه و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربه، العبد الضعيف، الحاج أحمد حبيب، إلى طيب النشأة المحبوب سيدي ....، و كافّة أفراد أسرته الطيبين، و جميع الإخوان في الله بناحية بني صاف، كلٍ واحد بإسمه الخاص به. حبّب الله إلينا، وإليكم الإيمان، وزيّنه في قلوبنا وقلوبكم، و كرّه إلينا وإليكم الفسوق و العصيان، و أغرقنا و إيّاكم في مقام الإحسان، و الشّهود، و العيان، و الذّوق، و الوجدان، و ختم لنا ولكم بخاتمة السّعادة و الغفران، و النّظر إلى وجهه الكريم، في يوم لا ينفع فيه لا مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وعقد صميم، إنه الولي الحميم، التّواب الكريم، الرّؤوف الرحيم.

و السّلام عليكم، ورحمة الله، و بركاته، ورضوانه، ما دمتم في الله متحابّين، و على الله مجتمعين، و بالشّريعة المطهّرة قائمين، و على محجّتها البيضاء سالكين وثابتين، و إن الله لمع المحسنين، القائل-ﷻ-:﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[1]. فتأمّلوا إخواني الكرام في هذه الآية جيّدا، وتدبّروا معناها، و أسلموا وجوهكم لله ربّ العالمين. و اعلموا يقينا بأنّه ليس للقلب إلّا وجهة واحدة ، فمهما توجّه إليها حجب عن غيرها، و إيّاكم أن تميلوا إلى غير الحقّ فيسلبكم لذّة مناجاته، كما أقول لكم لا تيأسوا، ولا تخافوا سوء حجب، ما دمتم تذكرون الله، و اعلموا أنّكم ما دمتم مواظبين على ذكر الله-ﷻ- فأنتم مذكورون عنده، ضمن قوله تعالى:﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]. كما أنّا سررنا بكم جدًا جدًا، حيث أنّكم قدمتم إلى الجزائر العاصمة

[1] جزء من الآية ١٢٥ من سورة "النساء".

[2] جزء من الآية ٣٥ من سورة "الأحزاب".

لمشاركة إخوانكم في إحياء ذكرى مولد الحبيب المصطفى-ﷺ-و لقد كنتم حقًا ممن نوّر و عطّر هذه الذكرى الطيبة، وذلك بما قمتم به من تلاوة-مما تيسّر من كتاب الله-و إنشادٍ للقصائد، وقراءة للهمزية في مدح شمائل خير البريّة-ﷺ-خلال الخطب، و الكلمات التي ألقيت في ذلك المحفل البهيج، و لا شكّ أنكم قد أدركتم من الذّوق و الوجدان، والشهود و العيان، أنّ هناك فرقا بين من سلك طريق و ثبت على ذلك حتّى وصل، بإذن الله، إلى معرفة الملك الديّان، و بين من يزعم أنه وصل إلى المعرفة بنفسه عن طريق المطالعة لكتب القوم-ﷺ-و الممارسة لبعض العبادات و بعض الأذكار. فهذا الصّنف من المتشبّهين بالقوم يصلون إلى نصيب من المعرفة المجازية لا الحقيقية. و أعني بالمعرفة المجازية: النّقلية التقليديّة أو الفكريّة المحدودة، غير الممدودة، و المقيّدة غير المطلقة. وهؤلاء-أعني أصحاب هذه المعرفة- هم المتصوّفة المتشبّهون بالصّوفية، وهم الّذين لم يتمّ لهم الصّفاء بعد، فهم واقفون مع ما هو منهم إلى الله، و الصوفية واقفون مع ما هو من الله إليهم. إذن؛ فالصّوفية هم أصحاب الماء الطّهور أو الماء المطلق، و المتصوّفة هم أصحاب الماء المتغيّر بطاهر، أي المختلط بشيء طاهر، مثل الزّيت و اللّبن، أو المتلوّن بعصير الفواكه، مثل البرتقال. فهذا الصنف من الماء يصلح للعادة، و لا يصلح للعبادة، و أمّا الماء المطلق، فإنه يصلح للعبادة و العادة و في هذا المعنى قال بعضهم:-

فأمّا الخيام فكخيامهم
و أرى نساء الحيّ غير نسائه

و المراد بالخيام هنا، هو المظهر و الهيئة من كلام و زيّ، وقس على ذلك من العوائد التي تعيق من وقف معها من الطلّاب، و الرّاغبين الّذين لم يصحبوا ولم يقتدوا بأهل زمانهم من الواصلين المتمكنين الرّاسخين في مقام العبودية الخالصة لله ربّ العالمين. و اعلموا أيها الأحبّة في الله بأنّي لم أتطرّق إلى هذا الموضوع ذمًّا لهؤلاء الأئمّة، و المثقّفين، و لا استنقاصا لشأنهم و مقامهم، بل إنّي أحترمهم، و أعظّمهم، و أقدّرهم كلّ التّقدير-فجزاهم الله عنّا خيرا، و فتح عليهم بكلّ خير. و إنّما تناولت هذا الموضوع تنبيها للإخوان، و تحذيرا لهم من الوقوف مع ظواهر الأمور، فيقطعهم ذلك عن الوصول إلى حقيقة المأمول، أو يحرمهم من المزيد. و أعني بظواهر الأمور: العلم الظّاهر فإنه مانع للواقفين معه من النّفاذ إلى العلم الموهوب الذي يفتح أقفال القلوب، وهذا الأخير ليس لعامة الناس، و إنّما هو للخواصّ ذوي الهمم العالية، كما صرح بذلك أبو هريرة-ﷺ-في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري-ﷺ-إذ يقول: عن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله-ﷺ-وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1]. هذا الحديث يدل في مجمله على ثلاثة أمور:-

- **الأمر الأوّل**: هو أنّ النبيّ-ﷺ-جاء بصنفين من العلم؛ علم الشريعة لكافّة

[1] "صحيح البخاري"، ج١، ص ٥٦، رقم الحديث: ١٢٠-انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".



الناس؛ وعلم الحقيقة خواصّ للمؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون.

- **الأمر الثاني:** هو أنه يجوز الإخبار عن وجود هذا العلم بلا قيد، و لا تكليف.
- **الأمر الثالث:** هو لا يجوز إظهاره و التكلّم فيه إلا لأهله و مع ذويه، و أكمل المؤمنين إيمانا-و هو الذي تحقق بوراثة العلمين؛ علم اللسان او علم الجنان.

واعلموا إخواني، علّمكم الله، و فقّهكم في الدّين، أنّ علم القلوب يسمّى أيضا بالعلم اللّدنّي، وكذا بالموهوب و المكنون. وكلّ هذه الأسامي هي لمسمى واحد، و هو العلم بالله. و العلم بالله ثابت بالكتاب و السنّة؛ فمن الكتاب هو ما جاء في قصّة سيّدنا موسى مع سيّدنا الخضر-عليهما السّلام؛ و من السنّة؛ حديث أبي هريرة الذي ذكرناه آنفا. و عن الحسن-ﷺ: قال رسول الله-ﷺ-﴿العلم علمان : علم في القلب-فذاك العلم النافع ؛ وعلم على اللسان فتلك حجة الله على عباده[١]﴾. وكما أنّه لا يصلح الجسد إلّا بصلاح القلب، فإنّه لا يصلح علم اللسان إلّا بوجود علم القلب، كما بيّن ذلك رسول الله-ﷺ-فيما يلي؛ إذ يقول: ﴿ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله-ألا وهي القلب[٢]﴾. و بعد هذه الأحاديث الصّحيحة، و النّصوص الصريحة، الدالّة على أنّ السّعادة كلّ السعادة في صلاح القلوب، و تطهيرها من العيوب، فيجب على العاقل أن يعتني بصلاح قلبه، ويبذل كلّ ما في وسعه في سبيل ذلك، بل يبذل النّفس و النّفيس و لا يبالي، كما قال-ﷺ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ[٣]﴾. و بما أنّ الله أهّلكم، أي جعلكم من الخواصّ أهل النّور، حيث جعلكم ذاكرين، ووفّقكم إلى صحبة الذّاكرين، وقال لكم يا عبادي ذكري عندكم و أنا معكم، فاذكروني أذكركم، و اشكروني و لا تكفرون-أي كونوا لي أكونْ لكم، و لا تكونوا لغيري فأتركم، و لا تنسوني فأنساكم. فالكلام هنا موجّه للقلوب، فعوّدوها التذكّر، و التّعلق بالله الخالق الرّازق، ليحفظها لكم من الآفات، كما قال سيدي بومدين-ﷺ-في حكمه الثمينة: "فأيّما قلب يراه مؤثرا له، حفظه من طوارئ المحن، و مضلّات الفتن". و لا أطيل الكلام عليكم، و اشكروا نعمة الله

---

[١] "مصنف أبي شيبة"، ج٨، ص: ١٣١، رقم الحديث: ٦٠-انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". و راوي الحديث، الحسن، هو الحسن البصري-رضي الله عنه.

[٢] صحيح البخاري، ج١، ص:٢٩، رقم الحديث: ٥٢-"موسوعة الحديث الشريف. إسلام ويب".

[٣] جزء من الآية ٩٢ من سورة "آل عمران".

عليكم إذ نزع الغلّ من صدوركم فأصبحتم بنعمته إخوانا على سرر متقابلين. وبلّغوا سلامنا إلى كافّة إخواننا، و أحبابنا في الله و لله-رعاهم الله جميعا-و سدّد خطاهم. كما نخبركم أنّ إخوانكم هنا هم بدورهم يرفعون إليكم أطيب التمنّيات، راجين لكم من الله الكريم المنّان التوفيق في سائر شؤونكم، و في جميع أعمالكم، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت، و إليه أنيب. و دمتم في رعاية الله و حفظه-آمين.

الحاج أحمد حبيب.



الرسالة الرابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت و إليه أنيب.
و صلّى الله على من هو أحرص على سعادة أمّته من أنفسهم، النبيّ الرّؤوف الرّحيم، و على آله و أصحابه و عباد الله الصّالحين.

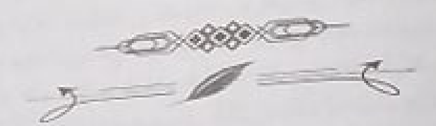
من عبد ربه، الحاج أحمد حبيب، كان الله له ولإخوانه في كل شأن آمين، إلى الولي الصّادق، شديد الرغبة في الله، سيدي ......، وفّقك الله، و أعانك على بلوغ مقصودك بمحض منّه، و كرمه-آمين. و السّلام عليكم و رحمة الله تعالى وبركاته وحفظه ورضوانه ما دمت في الله راغبا، و لمعرفته طالبا، وقوّى الله حزمك، و عزمك و أعانك على ذكره و شكره، و حسن عبادته.

و بعد أيها الأخ الكريم، لقد وصلتني رسالتك القيّمة، و الشيّقة في نفس الوقت، و إنّي تصفّحتها بكل اعتناء، و لقد حركت بالنا، و هزّت مشاعرنا، فالتجأنا إلى الله، و تضرّعنا إليه أن يأخذ بيدك، و ينهض بحالك إلى حضرة شهوده و نور وجوده، إنّه كريم وهاب.

أمّا استفسارك عما حيّرك، وشوّش لك بالك-و الّذي هو للمصاحبة في طريق السّلوك للقدوة الحي.
اعلم يا ولي الله، ألهمك الله، أنّ لهذا الشأن العظيم، و الأمر الجسيم، ثلاثة أقسام: قسمان-الصّحبة فيهما واجبة؛ و هو في حقّ من لم يسبق له صحبة قط؛ والثّاني في حقّ من سبقت له صحبة و لكنّه لم يحصّل على شيء من المعرفة في حياة شيخه، فهذا الأخير حكمه حكم الأوّل في وجوب الصّحبة للقدوة الحي، و القسم الثّالث هي في حقّ من سبقت له صحبة صحيحة للشّيخ المربّي، و حصل له نصيب من المعرفة، و كان له قدم راسخة في الذّكر في حياة شيخه، غير أنه لم يحصل على المعرفة الكافية، فهو في حاجة إلى من يعينه، فالواجب في حقه أن يواصل السّير، و الذّكر، و شيخه هــو الذي يرقّيه، و لا بأس أن يستعين بأهل زمانه في بعض الأمور التي تعرض له أثناء سلوكه و لم يجد لها حلا، يكون هذا مع ثباته على أمره الأوّل من حيث أنّ هذه الاستعانة لا تقطعه و لا تعوقه عن الصّحبة الأولى. هذا ما ثبت عندنا في هذه المسألة و الله المستعان، و الأمر هنا يعود إليك فأنت أدرى بحالك، فانظر في شأنك، واعزم على مقصودك. ولقد سبق لنا أن تطرّقنا إلى هذا الموضوع من قبل، وما إعادة طرحك له من جديد إلا دليل على حرصك، وصدق رغبتك في الوصول إلى معرفة ربك، لا أحرمنا الله وإيّاك و إخواننا من خالص معرفته آمين. كما نفيدك

علما أن جميع الإخوان هنا هم بخير و على خير، و إنهم يسلّمون عليكم سلاما كثيرا طيبا مباركا، راجين لكم من الله، التّوفيق في سائر أعمالكم، و إلى فرصة أخرى، إن شاء الله، ودمتم في رعاية الله وحفظه.

أخوك الحاج أحمد.



الرسالة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ(١٧)﴾[1] صدق الله العظيم، وصلى الله على سيدنا و مولانا محمد، الذي كان و لم يزل يذكر الله على جميع أحيانه – صلى الله عليه و على آله و أصحابه، و من والاه إلى يوم الدين.

من عبد ربه، الحاج أحمد حبيب، و جماعة الإخوان الفقراء، الذّاكرين الشّاكرين بناحية خميس الخشنة و بوزريعة، صانهم الله و وقاهم كل سوء و مكروه، آميـن.

إلى عالي الهمّة، طاهر السّريرة، زكيّ السّلوك و السّيرة، سيّدي ......، و كافة الإخوان الفقراء المتحابين في الله و من أجل الله ببني صاف، السلام عليكم و رحمة الله وبركاته، و حفظه، ورضوانه، ما دمتم مقبلين عليه، و إليه متوجهين بأحبّ الأعمال إليه، و أزكاها لديه، ألا و هو ذكر الله تعالى، كما جاء في الصحيح عن رسول الله-ﷺ-أنه قال: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم

[1] جزء من الآية ١٧ و ١٨ من سورة "الزمر".

وبضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى. قال: ذكر الله تعالى![1]». فهنيئا لكم يا أحبّائي الذاكرين بهذا الفوز الكبير، و الفضل العظيم، و كفى بالذّكر فضلا و نعمة أنه منشور الولاية. قال الشيخ أبو عليّ الدّقاق -و هو شيخ الإمام القشيري- رضي الله عنهما: "الذكر منشور الولاية، فمن وفق للذّكر فقد أعطي المنشور، و من سُلب الذكر فقد عزل[2]". و ها أنتم قد وفّقكم الله إلى ذكره الخاص، و أنعم به عليكم، و أشرق عليكم أنواره، فلاحت عليكم بشائره، و ما ذاك إلّا سابق العناية منه و القبول، فاذكروه يذكركم، و اشكروه يزدكم من فضله، و مواهبه و نفحاته، و يرزقكم من حيث لا تحتسبون. واعلموا إخواني الذّاكرين، أن للذكر فوائد و منافع كثيرة و متنوعة؛ ومن فوائده الكبرى، الخروج من ظلمات الغفلة والجهل إلى نور المشاهدة و المعرفة بالله، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾[3]-و من رحمته تعالى بعباده الذاكرين، أنه تعالى يتجلى لهم على حسب طاقتهم، و على قدر إستعدادهم لتقبّل أنوار قربه. و هكذا كلما ازداد العبد استعدادا، ازداد تقربا، و شهودا، و عيّانا، و ذوقا، ووجدانا، و فهما عن الله فيما يسمعه و يراه، و ها هنا لا تلهيه تجارة و لا بيع عن ذكر الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزكاة، وما الهداية و التوفيق إلا من عند الله الكريم الوهّاب.

هذا و إنّي لم أنس تلك الملاقاة الخاطفة، الشيّقة، السّارة في نفس الوقت، التي جمعنا الله بها في تلمسان بمناسبة الليلة التي أقامها سي عبد الله، ولد سيدنا الشيخ ﷺ و نفعنا الله و المسلمين بسره و بركاته، آمين. و قد اجتمعنا بالإخوان الفقراء الشّباب، شباب بني صاف و شباب عين تموشنت، و ذلك بعد اختتام الجمع ورجوعنا إلى الزّاوية الأم للمبيت فتذاكرنا فيما يقرّبنا إلى الله و يرضينا عنده، وحيث أنك لم تكن حاضرا معنا بجسمك، و لا شكّ في حضورك معنا بروحك، كتبت

---

[1] حديث صحيح. انظر "سنن الترمذي"، ج٥، ص:٤٢٩، رقم الحديث:٣٣٧٧-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". و ذكر الترمذي-رضي الله عنه- بعد الحديث ما نصه: قال معاذ بن جبل-رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله!

[2] جاء في تفسير الثعالبي: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، ج٤، ص٢٩٧-المكتبة الشاملة-ما نصه: "قال القشيريُّ في "رسالته": الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكرُ على ضربين: ذكر باللسان، وذكر بالقلب؛ فذكر اللسان-به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثيرُ لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه و قلبه فهو الكامل في وصفه. سمعتُ أبا علي الدقاق يقول: الذكر منشورُ الولاية، فمن وُفِّقَ للذكر فقد وُفِّقَ المنشور ومن سُلب الذكر فقد عُزِل، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات.

[3] من سورة "الأحزاب".

لك هذه الرسالة ليكون حظّك أوفر و أتم، لأننا نحبّك في الله حبا جمّا، نسأل الله تعالى أن يجعلنا، و سائر الإخوان، من المتحابّين في الله حقا و صدقا، إنه ولي التوفيق، و هو الهادي إلى سواء الطريق. و إذا قرأت هذه الرّسالة على الإخوان الذّاكرين اسم الله الأعظم، فهو حسن، و بلّغ سلامنا الخاص إلى الديك الكريمين- حفظهما الله ورعاهما، وبلّغ سلامنا الخاص إلى جميع الإخوان الذّاكرين بدون تخصيص، و لا تنقيص، و أخصّ بالذّكر منهم السّيد المقدّم سيّدي ...... صانه الله و سدّد خطاه. كما أن إخوانكم الفقراء هنا بخميس الخشنة و ببوزريعة بخير وعلى خير، و في نشاط متزايد، و هم يرفعون لكم من السلام أزكاه، و أطيب التحيّات مع أجمل التمنيات، راجين لكم من العليّ القدير، دوام الصحّة و العافية، و مزيدا من النّشاط، و التقرّب إلى الله، و السّلام عليكم و رحمة الله و بركاته، و دمتم في رعاية الله و حفظه.

السيد الحاج أحمد حبيب



الرسالة السادسة:

تعليق: ينصح الأستاذ في هذه الرسالة طالب سلوك طريق الله إذا تعرض إلى ما يصعب فهمه من أقوال العارفين إلى أن يحمله على محامل الظن الحسن و أن يجدّ و يستمر في الذكر حتى يُفهمه الله ما قد يدق عن العقول عند فقدان نور العرفان في بداية السير إلى الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾[1]. و صلى الله على سيّدنا و مولانا، محمّد البشير النّذير،

---

[1] الأحزاب.

السِّراج المنير، الدّاعي إلى الله بإذنه – صلى الله عليه و على آله، و أزواجه، و ذريّاته، و أصحابه، و من والاه.

من عبد ربه الحاج أحمد حبيب–أعانه الله على برّه و تقواه–آمين، إلى طيّب النّشأة، خالص المودّة، أخينا في الله، و من أجل الله، السيّد .... عمّر الله قلبك بأسرار و حقائق الإيمان، و نهض بهمّتك إلى مقام الاحسان، حيث الذوق و الوجدان، و الشّهود و العيّان، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم، و السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته ما دمت لله ذاكرا، شاكرا، مقبلا عليه، و متوجّها إليه، غير ملتفت عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا[1]﴾. و معنى حنيفا هنا أي غير مائل و لا ملتفت، كما أنّ الالتفات القلبي إلى غير الله سمة الغافلين الواقفين مع آرائهم و أفكارهم، و لو أنّهم ذكروا الله ذكرا كثيرا كما أمرهم، و انشغلوا بذلك حتى يذكرهم الله كما وعدهم في قوله عز من قائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ[2]﴾. أي اذكروني ذكرا كثيرا حتّى أخرجكم من الظلمات إلى النّور، أي من ظلمات الجهل بالله و الغفلة عنه، إلى نور الذّكر و المعرفة بالله، و ما ذلك إلا علم نافع في القلب، و عمل صالح يشعّ نوره من خلال الجوارح. فإذا تمكّن و رسخ هذان؛ العلم والصلاح في العبد الصالح، يصير لا محالة من الرّجال الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله، و إقام الصلاة، و إيتاء الزّكاة. و هذا هو مقام المؤمنين الكمّل الصّادقين في إيمانهم مع الله؛ كما قال في حقّهم مولانا عزّ وجلّ:- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا[3]﴾. تنبّه أيها الأخ الكريم و الصّديق الحميم إلى ما ذكرناه لك، و تأمّله جيدا، واسْعَ بجدّ في تحقيقه، تصل إن شاء الله إلى حقيقة اليقين ضمن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

[1] من الآية ١٢٥ من سورة "النساء".

[2] جزء من الآية ١٥٢ من سورة "البقرة".

[3] "الأنفال".

الْأَرْضِ[1]﴾. قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "الزّبد هو الشّكّ و الرّيب و التّردّد[2]، و أمّا ما ينفع النّاس فهو اليقين يثبت في القلب ثم يعطي ثماره كالماء في الأرض الخصب". و بعدما ذكرنا لك هذه النّخبة من طيب الكلام تنبيها لك على ما هو أولى بالاهتمام به و الرّغبة فيه، و على الله بلوغ المرام، إنّه وليّ الإمتنان، نتطرّق إلى موضوع استفسارك عن معنى بعض كلام الصّالحين، وقبل الشّروع في الجواب عن استفسارك نقول لك: اعلم أيها الأخ الكريم بأننا لسنا مكلّفين، لا نحن و لا أنت، بتصويب أو تخطيء كلام الصّالحين، و لسنا أيضا بمطالبين بتأويل وفهم كلامهم، و السّبب في ذلك أنّهم غير مُشرّعين، و أما الّذي أظهره الله عليهم، و أجراه على ألسنتهم من أسرار التّوحيد، و حقائق الإيمان، ودقائق العلم اللّدني المكنون، الذي لا يطّلع عليه إلا المطهّرون من عباد الله المقرّبين الذين انتهجوا منهاجه القويم، و سلكوا مسلكه السّليم، و هو الطّريق التّقرّبي، و مجاهدة النّفس والشّيطان و الهوى ضمن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

[1] جزء من الآية ١٧ من سورة "الرعد".

[2] جاء في "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"، ج١، ص: ٢٠٧–"المكتبة الشاملة"، بخصوص الآية ١٧ من سورة "الرعد" ما نصه:–ثل الحق والباطل فقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: يقول انزل جبريل بالقرآن وبين فيه الحق والباطل ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾– فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ﴾ القلوب المظلمة ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ باطلا كثيرا بهواها ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ وهذا مثل آخر يقول ومما تطرحون في النار من الذهب والفضة فيه خبث مثل زبد البحر المنلح ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾ تلبسونها يقول مثل الحق مثل الذهب والفضة ينتفع بهما كذلك الحق ينتفع به صاحبه. ومثل الباطل مثل خبث الذهب والفضة لا ينتفع به اكذلك لا ينتفع بالباطل صاحبه ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ أو حديد أو نحاس ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾: يقول يكون له خبث مثله مثل زبد الماء وهذا مثل آخر يقول مثل الحق كمثل الحديد والنحاس ينتفع بهما فكذلك الحق ينتفع به صاحبه ومثل الباطل كمثل خبث الحديد والنحاس لا ينتفع به كما لا ينتفع بخبث الحديد والنحاس ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾ يبين الله الحق والباطل ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يقول يذهب كما جاء لا ينتفع به فكذلك الباطل لا ينتفع به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ وهو الماء الصافي والذهب والفضة والحديد والنحاس ﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ ينتفع به فكذلك الحق ينتفع به ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يبين الله أمثال الحق والباطل. بطاقة الكتاب: الكتاب: "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"؛ الكتاب ينسب: لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – (المتوفى: ٦٨هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، عدد الأجزاء: ١.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾[1]. فبعد ترغيبهم في المجاهدة، بيّن لهم كيفية العمل و السّلوك لهذا المسلك القريب؛ فقال تعالى في الحديث القدسي الصحيح الّذي رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه:" وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه[2]". و من خلال هذا الحديث القدسي، ذا تصفّحته و تأمّلت معانيه، لا شكّ أنه يتبيّن لك أن هناك من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فمنهم من قضى نحبه؛ و منهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. وكذا رجال ذكروا الله حقّ ذكره حتى أخرجهم من الظلمات إلى النّور، فكان هو سمعهم و بصرهم إلى آخر الحديث. وهؤلاء هم الرّجال الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله تعالى. و الفرق شاسع بين العاملين الجادّين في عملهم التقرّبي المقبلين على الله المشتغلين به عمّن سواه، وبين الخائضين المتشدّقين، الواقفين مع أوهامهم و خيالهم و يتمنّون على الله الأماني، فكن يا سيدي من الصّنف الأوّل، و لا تكن من الصّنف الثّاني، و الله يتولى هداك و هو يتولى الصّالحين. ....

ولنرجع إلى ما كنّا بصدده من قولنا لسنا مطالبين بالتكلُّف في تأويل كلام القوم لأنّ الذي أجراه الله على ألسنتهم إنو ثمار أعمالهم الخالصة لوجه الله الكريم و أحوالهم الصّافية الطاهرة، و أقوالهم الطيّبة الزكية. و من هنا فإنّنا مطالبون بالإقتداء بهم و اقتفاء آثارهم، وكذا الإستفسار عن كيفية العمل و السُّلوك حتى نصل بإذن الله إلى ما وصلوا إليه من قرب ورضوان من الله و فتح مبين. و أمّا قبل الوصول إلى غاية المقصود من الإيمان و هو مقام الإحسان فيكون الكلام في هذا الشّأن مضيعة للوقت و اشتغالا بما لا يعني، و هو أيضا دليل على عدم حسن إسلام من يتلبّس بهذه الخصال؛ لقوله-ﷺ-: ﴿من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[3]﴾. فإن قلت كيف أتعامل مع كلام القوم إذا سمعته أو قرأته في الكتب؟ نقول: لك اجعل نفسك كأنك في بستان من الفواكه، و في ذلك البستان ثمار ناضجة و أخرى غير ناضجة، فخذ النّاضج منها

[1] العنكبوت.

[2] جزء من حديث صحيح؛ "صحيح البخاري"، ج٥، ص: ٢٣٨٥، رقم الحديث: ٦١٣٧- "موسوعة الحديث الشريف- إسلام ويب". نص الحديث: عن أبي هريرة قال، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته".

[3] حديث صحيح. انظر "سنن الترمذي"، ج٤، ص: ٤٨٣، رقم الحديث: ٢٣١٧- "المكتبة الشاملة". نص الحديث: عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

و دع الآخر حتى ينضج و لا تستعجل تناول غير النّاضج فإنّه يعطيك ذوقا سيّئا و طعما رديئا. و هكذا إذا تناولت للمعارف الربانيّة التي هي من علوم الوهب، لا من علوم الكسب، قبل الوصول إلى مستوى النُّضج الرُّوحي أو الصّفاء الرُّوحي الخالص، فإنّ فهمك و تعبيرك حينئذ يكون خاطئًا و في غير محلّه. إذن، خذ ما فهمته من كلام القوم، و دع ما لم تفهمه حتى يأتي أوانه، و سلّم لهم فيما عراهم و اعلم أنّهم غابوا في الله.

و أما قول الشّيخ[1]-ﷺ-: "لسْتُ سواك يا الله" لا شك أنه يريد بهذا التّعبير إحدى المعاني الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)[2]﴾ و قوله-ﷻ-: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ[3]﴾. فإذا نظرت في هذه الآيات نظرة اعتبار، و تمعّنت فيها بحثا عن صفات الوجود الحقيقي؛ لوجدت أن صفات الوجود كلّها لله حقيقة وهي للمخلوق عارية. و من هذا المنطق فمعنى الكلام يكون-و الله و رسوله أعلم- لست سواك يا الله، أي كل ما لديَّ من صفات الوجود هي كلها لك وحدك، كما قال بعض الصّالحين:-

تراني كالآلة و هو محركي   أنا قلم و الأقدار أصابع[4]

وكذا قولهم:" العبد و ما ملك لسيده". فقول الشّيخ[5]-رحمه الله- هو اعتراف تامّ لله سبحانه و تعالى بنعمتي الإيجاد و الإمداد، كما قال ابن عطاء الله-رحمه الله:" أنعم عليك أوّلا بنعمة الإيجاد ثم أنعم عليك بتوالي الإمداد" و كلام الشّيخ-رحمه الله-يدلّ على محض العبودية لله، فيكون معنى الكلام : لست سوى آلتك أو صنعتك لا وجود لي إلا بك و لا حركة لي و لا سكون إلا بك.

[1] يعني الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سره-شيخ شيخ الأستاذ أحمد حبيب بن عبد القادر.

[2] الأنعام.

[3] جزء من الآية ٥٣ من سورة "النحل".

[4] ذكر ابن عجيبة مثله في كتابه؛ "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج٢، ص: ٥١٠- "المكتبة الشاملة". قال-رحمه الله: "قال القائل: أراني كالآلات وهو مُحركي ... أنا قلمٌ، والاقتدارُ أصابعُ". و ينسب هذا البيت إلى الشيخ عبد الكريم الجيلي-رحمه الله.

[5] يعني الشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سره-شيخ شيخ الأستاذ أحمد حبيب بن عبد القادر.

أو بعبارة أخرى؛ أنا لست سوى نورك أو سرّك أو روحك كما جاء في سورة "ص"[1] أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه فهو روح الله، وكذا جاء في محكم التنزيل أن عيسى-عليه و على نبينا السلام-أنه روح الله[2]. و لهذا أيها الأخ الكريم فالمطلوب منك إذا أشكل عليك من كلام القوم فاحمله على محامل الظنّ الحسن فهو أنجى لك و أسلم، و اشتغل بطهارة قلبك و نظافة عقلك. و اعلم أنه قد أفلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى، و تنبه لقوله-ﷺ-: " إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد و جلاؤها ذكر الله عز وجل[3]". و أمّا قولك أنّ الإخوان تهرّبوا من الجواب، فقولك هذا خطأ محض، و ليس هو من الصواب في شيء، و الدّليل على ذلك أنّ الكلام ليس كلامهم و إنّما هم يذكرونه على سبيل التبرّك و التّذكير لأنفسهم بأنّ هناك مقاما في الإيمان و التّوحيد هو أسمى و أعلى مما هم فيه ليجدّوا و يجتهدوا في السّير. فكان عدم إجابتهم لك تجنّبا للخوض و الفتنة لا غير. و أمّا قولهم لك أذكر الله تعرف، فذاك هو الجواب والنّصيحة الخالصة لوجه الله الكريم، و ذلك أنّ لفظ التوحيد معروف عند جمهور المسلمين، و سرّ التوحيد لا يحتمله الكلام. و الدليل على هذا ما جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري-رحمه الله-عن أبي هريرة -ﷺ-أنه قال: -"أخذت عن رسول الله -صلى الله عليه و سلم -جرابين، أي وعاءين من العلم؛ فأمّا أحدهما، فهذا الذي بثثه فيكم؛ و أما الآخر لو بثثه قطع هذا البلعوم" و أشار إلى عنقه،

---

[1] يشير الأستاذ إلى قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾.

[2] جاء في سورة "النساء"، الآية ١٧١- ما نصه: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾.

[3] وجدت الحديث بهذه الصيغة: عن ابن عمر-رضي الله عنه، قال، قال رسول الله: " القلب يصدأ كما يصدأ الحديد ".قيل: يا رسول الله، وما جلاؤه؟ قال: " تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى "؛ انظر "الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين"، ص:٧٠-"للمكتبة الشاملة". بطاقة الكتاب الرقمية: الكتاب:"الأربعين في فضائل ذكر رب العالمين"، المؤلف: مسافر بن محمد بن حاجي الدمشقي (المتوفى: ٤٢٠هـ). الكتاب مرقم آليا.

و إلى هذا المعنى أشار الشّيخ سيدي العلاوي[1] إذ يقول:-

جئنا بعلم رقيق لا يحتمله الكلام | إلا لذوي التصديق، جاءهم و حي إلهام[2]

---

[1] شيخ زمانه و العارف بالله الأستاذ أحمد العلاوي المستغانمي الجزائري، المتوفي في سنة ١٩٣٤ ميلادية في مستغانم-غرب الجزائر.

[2] الحديث في "صحيح البخاري"، ج١، ص:٥٦، رقم الحديث: ١٢٠. نص الحديث: عن سعيدالمَقْبُرِيِّ عن أبي هريرة- قال:"حفظت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم". تعليق: يجد الباحث في شأن و معنى" أما الآخر لو بثثته قطع هذا البلعوم" في تراث علمائنا-علماء الأمة المحمدية- أن منهم من حمله على "علم الفتن" الذي علمه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أبا هريرة-رضي الله عنه-؛ و انفرد العارفون بالله-أهل التصوف الإسلامي-بأنه إشارة إلى علم الحقيقة الذي لا يحتمله الكلام. و لتعزيز هذا الموقف؛ "جاء في كتاب "حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي" المسماة "عناية القاضي و كفاية الراضي على تفسير البيضاوي" لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر-بيروت، عدد الأجزاء: ٨، ج٣، ص:٢٦٢-٢٦٣ (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة") مانصه: "وأما ما خص به-صلى الله عليه وسلم- من الأسرار كما روى البخاري عن أبي هريرة-رضي الله تعالى عنه أنه قال: حفظت من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وعاءين أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم أي عنقه، وأصل معناه مجرى الطعام، وإليه أشار الحسن-رضي الله تعالى عنه بقوله: "يارب جوهرعلم لو أبوح به لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا-وهو علم الحقيقة، والحكمة المسكوت عنها، وقد أشار إلى هذا المصنف رحمه الله تعالى، وهو يفهم من لفظ الرسالة فإنّ الرسالة ما يرسل إلى الغير، وهذا مذهب الصوفية رحمهم الله تعالى....". و جاء في الجزء الثاني، ص: ٧١٥؛ في كتاب "شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى ب "الكاشف عن حقائق السنن"، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق:- د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس) (في ترقيم مسلسل واحد)-الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ما نصه ": الحديث الثاني والعشرون عن أبي هريرة: قوله: "وعائين" شبه نوعي العلم بالظرفين لاحتواء كل منهما ما لم يحتويه الآخر، ولعل المراد بالأول علم الأحكام والأخلاق، وبالثاني علم الأسرار المصون عن الأغيار، المختص بالعلماء بالله من أهل العرفان. وأنشد الشيخ أبو حامد لزين العابدين في المنهاج: يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا. قال بعض العارفين: العلم المكنون والسر المصون علم هذه الطائفة، وهو نتيجة الخدمة، وثمرة الحكمة، لا يظفر به إلا الغواصون في بحار المجاهدات، ولا يسعد به إلا المصطفون بأنوار المشاهدات، إذ هو أسرار متمكنة في القلوب، لا يظهر إلا بالرياضة، وأنوار ملمعة في الغيوب لا تنكشف إلا للقلوب المرتاضة، وأهل الغرة بالله لها منكرون، وعنها مدبرون. قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي-قدس الله سره-: علومهم كلها إنباء عن وجدان. وإغراء إلى عرفان، وذوق محقق بصدق الحال، ولم يف بنطق المقال، فاستعصت نكتها على الإشارة، وطفحت على العبارة، وتحاديها الأرواح بدلالة الائتام والائتلاف، وكرعت حقائقها من حر الألطاف، وقد اندرس كثير من دقيق

فعليك بالتّصديق إن كنت تريد حقًا الوصول إلى التّحقيق. فالتّصديق في هذا الشّأن شرط ضروري في الإنتفاع، فلا تدع الفرصة تضيع من بين يديك، والله يحميك من الصّدود، و يقيك شرّ الحسود. و أما قول ....، سامحه الله: "أن نشاط الإخوان بهذا القصيد هو أثقال فوق طاقتهم، و قوله هم لا ينطقون بأحوالهم و لكن يتجرّؤون على الأحوال، فهذا حكم تعسّفي، حيث أنه حكم رأيه في أشياء غيبيّة لا يعلم حكمها إلا الله وحده، و هذا الحكم مخالف للسنّة لقوله -ﷺ- "أمرت أن أحكم بالظاهر و الله ولي السرائر[1]" و معروف عند الخاصّ و العام أنّ الأحوال مصدرها القلب، و أمّا الكلام الذي تنشّط به الإخوان فهو ليس كلامهم، و إنّما هو قول القوم-رضي الله عنهم-و أمّا الإخوان فإنّهم يذكرونه تبركا و إطلاق اللّسان في مثل ما قاله ...... هو تعدٍّ لحدود الأخوّة واعتداء على حرمة الإخوان ووقوع في عرضهم المعنوي؛ فكان من الواجب عليه في الجواب عن استفسارك ألا يخرج عن أمرين اثنين؛ الأمر الأول أن يشرح لك المسألة و يفهّمك الأمر، وذلك إذا كان من أهل المقام؛ و الأمر الثّاني أن يقول لا أدري!

و الآن أيها الشّاب التّقيّ الوفيّ الصفيّ أنصحك بأن تشتغل و تهتمّ بطهارة قلبك من جميع الصّفات المذمومة، وتتحلّى بصفات التّقوى ما استطعت لتكون من المقبولين؛ لقوله تعالى:-

---

علومهم كما انطمس كثير من حقائق رسومهم. وقد قال الجنيد-رحمه الله: علمنا هذا طوى بساطه منذ كذا سنة، ونحن نتكلم في حواشيه. وروى الشيخ أبو طالب المكي عنه أنه قال: لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني وانقطع، ولكنه من حق بدا، وإلى حق يعود." نقلة عن صاحب كتاب: "الكاشف عن حقائق السنن"، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: - ٧٤٣هـ): الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي: من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، من عراق العجم. كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الرّدّ على المبتدعة، ملازما لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، متواضعا، ضعيف البصر. من كتبه: "التبيان في المعاني والبيان"؛ "الخلاصة في معرفة الحديث"؛ "شرح الكشاف"، أربعة مجلدات ضخمة في التفسير، سماه "فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب"- في الحزانة الأزهرية، ومنه مجلد في الرباط - نقلا عن "الأعلام للزركلي"-بتصرف بسيط.

[1] جاء في كتاب: "المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" ج١، ص:١٦٢ لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة:- الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ١، ما نصه: "... وفي المتفق عليه من حديث أم سلمة: "إنكم تختصمون إليّ فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذ منه شيئا"؛ قال ابن كثير: إنه يؤخذ معناه منه، وقد ترجم له النسائي في سننه "باب الحكم بالظاهر"، وقال إمامنا ناصر السنة أبو عبد الله الشافعي-رحمه الله- عقب إيراده في كتاب الأم: فأخبرهم-صلى الله عليه و سلم-أنه إنما يقضي بالظاهر، وأن أمر السرائر إلى الله.."-إنتهى.

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ[1]﴾. كما أنه إذا طهّرت قلبك و عمّرته بالتّقوى فإنّ حقيقة الذّكر و الّتي هي سرُّ التوحيد تتمكن من قلبك؛ و إلا فلا! كما قال الإمام الغزالي-رحمه الله و رضي الله عنه:- " حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى، وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس، ولا سلطان له على القلب، ولا يدفع الشيطان[2]"-انتهى.

و فيما ذكرناه كفاية لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكورا، و بلغ سلامنا الخالص من أعماق قلوبنا لـ .... و إلى سائر الإخوان في الله بناحية عين تموشنت[3]، حفظ الله الجميع من آفات و سوء الإلتفات، إنّه سميع مجيب الدّعوات، و السّلام عليكم و رحمة الله، و دمتم في رعاية الله و حفظه. آميــن.

الحاج أحمد حبيب.



الرسالة السابعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصّلاة و السّلام على رسول الله وعلى آله و صحبه و كلّ من والاه. من عبد ربّه الحاج أحمد حبيب، و من معه من الإخوان الفقراء، إلى طيّب النّشأة صادق المودّة، أخينا في الله السيد........، و كافّة أفراد أسرته، صانكم الله و رعاكم، ما دمتم لله ذاكرين شاكرين، و السّلام عليكم و رحمة

---

[1] جزء من الآية ٢٧ من سورة "المائدة".

[2] "جواهر القرآن"، ج١، ص:١١، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، الناشر: دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م. (الكتاب موجود ضمن كتب "المكتبة الشاملة".)

[3] مدينة في غرب الجزائر و شمال شرق مدينة و عروس الغرب الجزائري، تلمسان.

الله و بركاته، و حقّقنا و إيّاكم بحقائق الرّضا و الرّضوان، و السّرّ و الامتنان ضمن قوله تعالى:-﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)[1]﴾.

و بعد،

لقد أخبرنا أخونا الكريم سي .... عن رغبتك في ملاقاتنا بعد الإحتفال بالمولد النّبوي الشّريف، على صاحبه أفضل الصلاة و التّسليم، ولكنّا رجعنا إلى أهلنا مباشرة بعد حضورنا حفل الزّفاف لأحد الإخوان الفقراء بعين الطلبة، و هو سي .... ، بارك الله له في هذا الزّواج، وجمع بينهما على الصّلاح و الفلاح، آمين. كما أنه أخونا كذلك على دوام رغبتك في الذّكر الخاصّ، وهو ذكر إسم الله الأعظم، وفقك الله إلى بلوغ مقصودك، و نهض بحالك وهمّتك إلى حضرة شهوده- و نور وجوده، إنه كريم وهّاب. و اعلم أيّها الأخ الكريم، و الولي الحميم، أنه لا شيء تتشوّق له النّفس الطاهرة، و القلوب النّيّرة كتشوّقها للقرب من الله تعالى. و إنّه ما بعثك على هذه الرّغبة إلا سابق العناية من الله -ﷻ- و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه. وأمّا مسألة الذّكر الخاصّ، فإنّ لهذا الشّأن العظيم شروطا لابدّ منها في حالة السّلوك، و هي سهلة ميسّرة على من يسّرها الله عليه، و هي كما يلي:-

- **الشّرط الأوّل**: هو الإستعداد للذكر، و معناه العزم على مواصلة الذّكر و الدّوام عليه.

- و **الشّرط الثّاني**: هو الإنقطاع إلى الله بالذّكر، قال تعالى:﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا[2]﴾ أي انقطع إليه. و الإنقطاع إليه يكون بالإقبال عليه، و الإعراض عن غيره، قال ﷻ:﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا[3]﴾، إذن، فعمدة السّلوك الخاصّ أمران: الملازمة؛ و المخالفة. الملازمة لذكر الله تعالى؛ والمخالفة لما يشغل عن الله. ومعناه أنّ الذّاكر عندما يشرع في الذّكر يكفّ عن مخالطة النّاس، سواء كانوا عوامًّا أو خواصًا، ويكفّ عن الخوض في الكلام، و يكفّ كذلك عن الإهتمام بالخلق و أحوالهم، وذلك بأن يقطع عن قلبه جميع علائق الغير و السّوى، ويشتغل بالذكر سرا و جهرا، حسبما تقتضيه الظروف، و يحرص على حضور

[1] الأنفال.

[2] جزء من الآية ٨ من سورة "المزمل".

[3] جزء من الآية ٩ من سورة "المزمل".

القلب مع المذكور، كما قال-صلى الله عليه وسلم:"أعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[1]". ومعناه إذا لم يحصل لك معنى الحضور من أنس وذوق ووجدان، فاعلم أنّه معك يسمعك و يراك، فكن له يكن لك، وتقرّب إليه بترك الغير، تجده أقرب إليك من كل شيء. فافهم تغنم، و الله ولي التّوفيق.

أيّها الأخ الكريم: إنّنا ذكرنا لك البعض من شروط السّلوك الخاصّ باختصار شديد، تسهيلا على السّالك و الرّاغب في ذلك.

تنبيــــه: إنّ ما ذكرناه من الشُّروط، مثل ترك المخالطة، وترك الخوض في الكلام، و ترك الإهتمام بالغير، يكون هذا فيما زاد عن الحاجة، و أمّا ما يحتاج إليه الإنسان في معاشه، وتدبير شؤون أسرته، أو ما تفرضه عليه واجبات العمل في عمله إلى غير ذلك، فهذه الحالات كلها لاتضرُّه إذا كان القلب دائم التعلق بالله-ﷻ. و أدنى درجات التعلق بالله هو دوام الشُّعور بمعيّة الله و إحاطته بكلّ شيء، والمراد من هذا هو أنّ التعلق بالله مع كثرة الذّكر ينفي الغير عن القلب، وكلما انتفى الغير عن القلب إلا و أشرقت عليه أنوار القرب-ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، و الله ذو الفضل العظيم.

و بعدما ذكرنا لك ما هو مطلوب في هذا الشّأن المرغوب، وشرحنا لك الأمر حسب ما جاد به الأوان، و الله المستعان، نقول لك: إن كنت عازما على مقصودك، فكاتبنا في هذا الموضوع، أي أكتب لنا رسالة و نحن-إن شاء الله-نبعث لك بكيفية العمل. هذا إذا كان يلائمك الذكر في منزلك أو في الزّاوية الأمّ، و إنّه من الأحسن أن يكون ذلك في منزلك. كما نحيطك علما أن الظروف و الأوضاع الرّاهنة لا تسمح أن يكون ذلك عندنا بالزّاوية، كما ننصحك بالعزم على مقصودك و أن تسارع إليه، و إيّاك و المماطلة أو التسويف فإن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.

ملاحظة: إنه بلغنا أن أخانا في الله، سيدي .... وفقه الله و سدد خطاه-أنه يُذكّر الإسم الأعظم. فإن كان هذا الخبر صحيحا، وظهر على يده الخير و انتشر، فإنه لا بأس أن تذهب إليه و تسلك الطّريق على يده. و على الله بلوغ المرام، و السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله، ودمتم في رعاية الله في عزّ و احترام.

أخوكم في الله الحاج أحمد.

[1] يشير الأستاذ إلى حديث جبريل -عليه السلام- الذي رواه البخاري: عن أبي هريرة قال كان النبي -صلى الله عليه وسلم- بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك- "صحيح البخاري"، حديث رقم ٥٠، جزء ١، ص: ٢٨، رقم الحديث: ٢٨. انظر "موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

الرسالة الثامنة:

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما النّعمة و الفضل إلاّ من عند الله، اللهمّ صلّ وسلّم و بارك على سيّدنا و مولانا محمّد النّور الذّاتي، و السّرّ السّاري في سائر الأسماء و الصّفات، و على آله وصحبه و سلّم.

من عبد ربّه خديم النّسبة الرّبّانية، و الطّريقة الدّيلميّة، الحاج أحمد حبيب، كان الله له ولإخوانه، و أحبابه في كلّ شأن-آمين. إلى صافي المودّة، جناب الصّادق المخلص السّيّد...... أسعدك الله و سدّد خطاك، و على ذكره و شكره و حسن عبادته أعانك وقوّاك، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، و أمدّك الله بروح من عنده، و أسبغ نعمه عليك، وشرح صدرك، و أنار باطنك، ورطّب لسانك بذكره، و ما التّوفيق إلاّ من عنده.

وبعد:-

أيّها الأخ الكريم و الوليّ الحميم، لقد وصلتنا رسالتك الشّيّقة التي طالما انتظرناها، وفور وصولها قرأناها بكلّ عناية و اهتمام، ومن خلالها أدركنا مدى تأثّرك بوفاة مقدّم الطّريقة الهبرية-رحمه الله- و أسكنه فسيح جنانه، ورزق أهله و أولاده الصّبر و السّلوان؛ إنّا لله و إنّا إليه راجعون. نسأل الله الثّبات على العهد و المحبّة، و أن يتوفانا و إياكم على حسن الخاتمة إنه حنّان منّان. و لا شكّ أن المقدّم المتوفّى -رحمه الله-من أهل الخير و من الصّالحين، حسب ما ذكرت لنا في رسالتك، غير أنه ليس الشّأن عند القوم أن يصل الإنسان إلى الخير و أن يكون من أهل الخير فقط، و إنّما الشّأن عندهم أن يصل العبد إلى الله و أن يكون من أهل معرفة الله. و للمعرفة بالله هي أساس الدّين، لما جاء في الحديث عن رسول الله-ﷺ-أنه قال: " إنّ دعامة البيت أساسه، ودعامة الدّين المعرفة بالله و اليقين و العقل القامع[1] ".

[1] جزء من حديث مذكور في "الرسالة القشيرية"، المؤلف: القشيري(المتوفى:٤٦٥ هـ)، ترقيم الحديث في "جوامع الكلم":(ر/م):٧٤/١٦٨. تمام الحديث: عن القاسم بن محمد، عن عائشة-رضي الله عنها، أن النبي-صلى الله عليه و سلم- قال: "إن دعامة البيت أساسه، ودعامة الدّين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع.فقلت: بأبي أنت وأمي، ما العقل القامع؟ قال:- الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله عز و جل". ذكر أبو نعيم الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ) حديثا صحيحا لغيره في كتابه-"الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية لأبي نعيم الأصبهاني"، ٤٣٠هـ)، حديث رقم:٥١، دار النشر: ابن حزم، بيروت لبنان، عام النشر:١٤١٤هـ-١٩٩٣م: عن أنس، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم: " إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي

و مفتاح هذه المعرفة هو الإستغراق التّام في ذكر الله تعالى، و في هذا المعنى قال الإمام الغزالي-رحمه الله : " إنّ حقيقة الذّكر لا تتمكّن من القلب إلاّ بعد طهارته من جميع الأوصاف المذمومة و عمارته بالتّقوى، و إلاّ فيكون الذّكر حديث نفس لا يؤثّر في القلب و لا يدفع الشّيطان[1]". و المراد بحقيقة الذّكر هي شهود المذكور مع دوام الحضور، قال شيخ شيخنا - رحمه الله و قدّس سرّه:-

فيكم رجال الصدور فيكم أرباب الحضور من زالت عنه السّتور لا يرى ما سوى الله[2].

أخي الكريم: لا شكّ في أنّك من عشّاق هذا الشّأن الرّفيع، ومن طلاّب معرفة ذي الجلال و الإكرام، فلتقدم في الله راغبا، و لمعرفته طالبا، فإنّه لا شيء تتشوق له النّفوس الطّاهرة، و القلوب النّيّرة، كتشوّقها للقرب من الله تعالى، و أوصيك أن تعمّر فراغك بذكر الله، و أن تكون في حالة الذّكر كأنّك تراه بحضور القلب و جمع الهمّة. قال شيخ شيخنا رحمه الله:-

مريدا بادر[3] بقلب حاضر لسان ذاكر بقولك الله
جاهد تشاهد كلّ الفوائد سرّ الأماجد في ذكرك الله

حقّقنا الله و إيّاك بحقائقه الأقدسيّة، وسلك بنا و بك مسلك أوليائه الصّالحين من سلف هذه الأمّة، و ختاما إنّ الإخوان الفقراء هنا في الزّاوية كلهم بخير، و هم

منادٍ في صعيد واحدٍ من بطنان العرش: أين أهل المعرفة بالله ؟ أين المحسنون؟ قال: فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدي الله، فيقول وهو أعلم بذلك: ما أنتم؟ فيقولون: نحن أهل المعرفة الذين عرفتنا إياك وجعلتنا أهلا لذلك، فيقول: صدقتم، ثم يقول للآخرين: ما أنتم؟ قالوا: نحن المحسنون، قال: صدقتم "، قلت لنبيّ: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾، ما عليكم من سبيل، ادخلوا الجنة برحمتي، ثم تبسم رسول الله- صلى الله عليه وسلم فقال: " لقد نجاهم الله من أهوال بوائق القيامة "-إنتهى بتصرف.

[1] تم تخريج قول حجة الإسلامي، الغزالي-رحمه الله، المتوفي في ٥٠٥هـ.

[2] بيت من قصيدة "بشراكم خلاني" للشيخ أحمد العلاوي المستغانمي-قدس الله سرّه. انظر "ديوان-العارف بالله و الدّال عليه، الأستاذ الأكبر، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي"، الناشر: المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم، الطبعة الرابعة. القصيدة موجودة في ص:١٧.

[3] من قصيدة للشيخ أحمد العلاوي المستغانمي- قدس الله سرّه. انظر "ديوان-العارف بالله و الدّال عليه، الأستاذ الأكبر، أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي- القصيدة: "مريداً بادر"، ص:٦٦.

حقيقة السُّلوك و بين للمكلفين بظاهر التّرك. فطالعوا هذه القصيدة المباركة، و أمعنوا النّظر فيها فإنّها زاخرة بالحقائق و اللّطائف و الأسرار. فغوصوا في بحر معانيها برفق، و إيّاكم و التّكلّف و التّشدُّد في التّفكر فإن ذلك غير محمود[1]، و لا بأس به في غيره؛ مثل الذّكر، فإن التّكــلف في الذّكر محمود مالم يتجاوز الحدود، وخير الأمور أوسطها و أحبّ الأعمال إلى الله أدومها و إن قلّ. و إذا قلتم لماذا يجوز التّكلف في الذّكر دون التّفكر؟ قلنا لكم: إنّ التّكلف في العبادات الحسّيّة قد أمر به الشّرع و له فوائد و منافع كثيرة لا تنحصر -نذكر البعض منها على سبيل المثال: إنّه، أي التّكلف في العبادات، لا يشغل القلب عن التّعلق بالله و الإقبال عليه و الشّوق إليه، و لا يشتّت البال و لا يفرّق الهمّة. بل إنّ العبادات الحسّيّة لها دور كبير في جمع الهمّة على الله، و خصوصا الذّكر، كما جاء عن الإمام القشيري أنه قال: " الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وهو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله سبحانه إلا بدوام الذكر، ثم الذكرُ على ضربين: ذكر باللسان؛ وذكر بالقلب؛ فذكر اللسان- به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، والتأثيرُ لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه[2]". وقال ابن عطاء الله-ﷺ-: " لا تترك الذِّكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه، لأنّ غفلتك عن وجود ذكره أشدّ من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عمّا سوى المذكور و ما ذلك على الله بعزيز"-انتهى.

قدس الله سرّه. من بين أبياتها الشيقة ما يلي:-

يا أيها العشّاق للمحضر الأعلى ... عيدونا بوصلكم فلكم فينا وَصلا

فهذا وقت النّهوض للمقام الأسنى ... فلله الحمدُ حيث كُنّا له أهلا

دعانا داعيُ الله قبل وجودنا ... ولمّا كان الوجود سمعنا لهُ قولا

فحزْ حمامُ الوصلِ من بعد فصله ... فصرنا على جمعٍ تالله ولا حولا

[1] التشدد في التفكر هو تشغيل العقل في حل ما يستصعبه العقل في فهم أقوال العارفين. و التفكر المحمود هو ما نتج عنه فهمٌ و إلهامٌ من قبل الله؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾. و الله و رسوله أعلم.

[2] "الرسالة القشيرية"، ج٢،ص: ٣٧٤. الكتاب: الرسالة القشيرية"، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

و أمّا التّكلّف و التّشدُّد في التّفكُّر فإنّه يتعب القلب و يشغله عن الحضور، و يلفته إلى غير مقصوده وخصوصا في حالة السلوك. و أمّا الواصلون فلا يضرُّهم ذلك لأنهم جمعوا بين الأمرين؛ بين الظاهر و الباطن، حيث عرفوا الله في الحالتين، فإنهم يجدون في الذكر ما يجدونه في التفكر. و أمّا بالنسبة لكم في الوقت الحالي؛ فالواجب هو أن تداوموا على الذّكر مع شيء من التّفكر، فإن وجدتم الفتح في التّفكر فغوصوا بالفكر و الدّاعي دعاكم. و هكذا يكون عملكم بالتزاوج بين ذكر و تفكر و عبرة و مطالعة للكتب الحيّة، وحيثما وجدتم بغيتكم من ذوق، و وجدان، وانشراح، واطمئنان؛ فارتعوا في رياض الجنّة، جنّة المعارف.

ملاحظة: إنّي أخاطبكم بصيغة الجمع تفاؤلا في الله أن يرزقكم إخوانا أصفياء صادقين و أن يقوّيكم عددا و مددا، و رجاؤنا لذلك قويّ متين، و الله عزيز حكيم.

و إلى اللّقاء في تلمسان ليلة المولد النّبوي الشّريف، على صاحبه أطيب الصّلاة و أزكى التّسليم. و إليكم هذين البيتين من كلام بعض الصالحين:-

مهما تعدّيت[1] عن الأجسام
أبصرت نور الحقّ ذا ابتسام[2]

قلوب العارفين لها عُيون
ترى ما لا يُرى للناظرين

وبلّغوا سلامنا الخالص من أعماق قلوبنا إلى كافّة الإخوان الفقراء الذّاكرين كبيرا و صغيرا، خصوصا سيدي..... المقدم -رعاه الله و سدّد خطاه- و لا تنسوا أن تبلّغوا عنّا أطيب التّحيّات إلى ذلك الشاب الصالح سي...... بناحية عين تموشنت، شفاه الله و ثبّت خطاه، ودمتم في رعاية الله و حفظه آمين

الحاج أحمد، في ١٨/٠٦/١٩٩٨م.

---

[1] تعديت عن الأجسام: أي أبصرت بنور المعرفة ما وراء حجب الأجسام؛ و في هذا المقام يقول إبن عطاء الله السكندري-رحمه الله: "الأجسام ظاهرها غرة و باطنها عبرة".

[2] أي شاهدت نور الحق في الوجود؛ و إليه الإشارة في قول الحق سبحانه و تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ من سورة "النور"، جزء من الآية ٣٥-و الله أعلم.

الرسالة العاشرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ[1]﴾،
و صلى الله على من أرسله الله رحمة للعالمين بشيرا و نذيرا و سراجا منيرا و على آله و صحبه وسلم تسليما كثيرا.

من عبد ربّه، الحاج أحمد و جماعة الإخوان الصوفية بناحية خميس الخشنة و بوزريعة، صانهم الله وثبّت قلوبهم على دينه الخالص إلى يوم لقائه، يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. إلى كافّة إخواننا، و أحبابنا في الله و لله بناحية بني صاف و عين تموشنت و عين الطلبة[2] ممن يذكرون الله كثيرا، و يسبّحونه بكرة و أصيلا، حفظكم الله ووفاكم، و على ذكره و شكره و حسن عبادته،أعانكم و قوّاكم، و السّلام عليكم ورحمة الله و بركاته و رضوانه ما دمتم لله ذاكرين، شاكرين، و لنفحاته متعرّضين، خصوصا في هذا الشّهر الكريم، شهر رمضان المبارك الذي أوّله رحمة، ووسطه مغفرة، و آخره عتق من النّار. وفيه،أي شهر رمضان المعظم،تضاعف الحسنات إلى سبع مئة ضعف، و الله يضاعف لمن يشاء، كما فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، و فيه جاء:﴿من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[3]﴾؛ و في رواية؛"خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[4]". جعلنا الله و إيّاكم من المفلحين الفائزين الحائزين على ما جاء في هذا الشّهر المبارك من رحمة و غفران و عتق من النّار و خيرات و بركات و أسرار و أنوار ممّا لا يدخل تحت وصف أو حصر. و الله يؤتي فضله من يشاء بغير حساب.

و لا شكّ في أنكم تكونون قد استغنمتم هذه الفرصة الربّانية العظيمة التي أتاحها الله لعباده المؤمنين الصّادقين ليسعدهم في كل سنة سعادة شاملة لجميع حالاتهم إلا من أبى و أعرض عن

---

[1] جزء من الآية ١٨٥ من سورة "البقرة".

[2] عين الطّلبة: إحدى بلديات ولاية عين تموشنت بغرب الجزائر.

[3] "صحيح البخاري"، ج١، ص:٢٢، رقم الحديث:٣٨-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[4] "صحيح ابن خزيمة"، ج٢، ص:١٠٥٣، رقم الحديث:٢٢٠١-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب". نص الحديث- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال ، قلت لأبي سلمة : ألا تحدثنا حديثا سمعته من أبيك ، سمعه أبوك من رسول الله -صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : بلى، أقبل رمضان ، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : " إن رمضان شهر افترض الله صيامه، وإني سننت للمسلمين قيامه، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ".

نفحات الرّحمن فذلك هو الشقي، كما قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم : "....الشقيُّ من حرم فيه رحمة الله عز و جل[1]"-أي في رمضان-و من هنا نقول لكم جميعا:صيام مبارك و عيد سعيد و كل عام و أنتم بخير! كما نهنّئكم على ما أتاكم الله من عظيم فضله و نعمته حيث وفّقكم لبناء جامع الزاوية. و ما هذه الزّاوية المباركة إلا بيت من بيوت الله التي أذن الله فيها أن ترفع و يذكر فيها إسمه، ويسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصّلاة و إيتاء الزكاة. و أنتم-هم هؤلاء الرجال إن شاء الله، فقوموا بالشّكر و الله يرعاكم، و أروا الله خيرا من أنفسكم. فإنّه تعالى يحبّ أن يرى نعمته عليكم و أنتم ذاكرين له، شاكرين لأنعمه، مقبلين عليه بقلوب طاهرة و نفوس زكيّة، و معتصمين بالله مولاكم فإنّه نعم المولى و نعم النّصير، ومتمسّكين بكتاب الله و سنّة رسوله-ﷺ-اللّذين، من تمسك بهما، لن يضلّ أبدا. واذكروا نعمة الله عليكم إذ نزع الغلّ من صدوركم، و ألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا على سرر متقابلين، فيالها من نعمة عظيمة أنعم الله بها على عباده الصّالحين عامّة، و العارفين منهم خاصّة؛ كما قال شيخ شيخنا رضي الله عنهما: -

حال العارفين متقابلين   على سرر مستبشرين[2]

و ما قول الشّيخ-رضي الله عنه-إلّا تصوير و تبيان لصفاء قلوب العارفين. و في هذا المعنى قال رسول الله-ﷺ-عندما قيل له: من خير الناس أو أفضل الناس يا رسول الله؟ قال:﴿كل مخموم القلب صدوق اللسان! قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد [3]﴾. و اعلموا إخواني الأفاضل، علّمكم الله من علمه المكنون و سره المصون، أنّ هذا الّذي ذكرناه لكم في هذه الرسالة القصيرة، ما هو إلّا كقطرة في بحر زاخر ممّا عشناه مع أستاذنا و مربّينا الهمام، الشّيخ سيّدي علي البوديلمي[4]-رضي الله عنه و أرضاه- ذلكم

---

[1] جزء من حديث. نص الحديث: عن عبادة بن الصامت ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوماً-وحضر رمضان: " أتاكم رمضان، شهر بركة يغشيكم الله فيه، فينزل الرحمة ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله إلى تنافسكم، ويباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل"-رواه الطبراني في الكبير. الحديث مذكور في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، ج٣، ص:١٤٢، رقم الحديث: ٤٧٨٣، للمؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، موضوع المرجع: متون الحديث، عدد الأجزاء: ١٠، الناشر: مكتبة القدسي-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[2] بيت من منظومة "صفت النظرة" للشيخ أحمد العلاوي-قدس الله سرّه. انظر ديوان الشيخ العلاوي.

[3] حديث حسن؛ "سنن ابن ماجة"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢١٦-"موسوعة الحديث الشريف-إسلام ويب".

[4] شيخ الأستاذ و شيخنا في التصوف الإسلامي، الأستاذ علي البوديلمي المسيلي الجزائري. كان-رحمه الله-من علماء الجزائر. إنتقل إلى جوار ربّه في سنة ١٩٨٨ م. دُفن-رحمه الله-في مقبرة تلمسان.

الرسالة الحادية عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)﴾[1].

و صلى الله على سيدنا محمد الهادي إلى صراط الله المستقيم الذي كان يذكر الله على كل أحيانه و على آله و صحبه و سلم تسليما.

من عبد ربه أحمد حبيب بالجمهورية الجزائرية كان الله له و لإخوانه في كل شأن معينا و مرشدا، آمين. إلى طيب النشأة الذاكر الشاكر، سيدي ...... بلد الزوايل و من معه من الإخوان الذاكرين الشاكرين لله رب العالمين، صانكم الله جميعا و قوى عزمكم على ما يرضي ربكم من صالح الأعمال و نهض بهمتكم إلى صدق التوجه إلى الله و التقرب إليه؛ و ذلك بالتمسك بكتاب الله عز و جل و سنة رسول الله -ﷺ- و الإكثار من ذكر الله -ﷻ- إذ به يكون اطمئنان القلوب و حياتها.

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته و رعاكم الله بعين عنايته و كان لكم بتوفيقه في كل شأن من شؤونكم بما ينفعكم في دينكم و دنياكم، إنه ولي المؤمنين و هو يتولى الصالحين. و لقد وصلتنا رسالتكم الطيبة و قرأناها عدة مرات لما فيها من الكلام الطيب و إخلاص المحبة لله تعالى، كما أننا اطلعنا من خلالها على شديد رغبتكم و تأهبكم لدخول الخلوة رغم ما تعانونه في ذلك من ضعف الإرادة، نسأل الله القوي أن يقوي عزمكم و أن ينهض بحالكم إلى أحسن حال، إنه على كل شيء قدير، و الذي أوصيكم به في هذا الظرف هو أن تثبتوا على ما أنتم عليه مع ملازمة الذكر على قدر استطاعتكم، و اعلموا أنه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2]، و في آية أخرى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[3]، و أما تعيين الوقت بالساعة التي قبل الفجر فهو ترغيب منّا في الوقت الأفضل على سبيل الاستحباب فقط؛ فمن لم يتيسر له ذلك فلا حرج عليه، فالمطلوب هو أن يأخذ الفقير المأذون

---

[1] المزمل.

[2] من الآية ٢٨٦ من سورة "البقرة".

[3] جزء من الآية ٧٨ من سورة "الحج".

في ذكر الاسم [الأعظم] حصة من الوقت في ليله أو نهاره يذكر فيها الله جل جلاله حتى يتيسر له دخول الخلوة ليذكر الله في أيام معدودات، و هنالك إن شاء الله تفيض على قلبه أسرار التوحيد الخفية و يشاهد أنوار الوجود في فضاء الشهود و يمنحه الله الذكر الدائم ضمن قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، فيصير مولعا بذكر الله في الخلوة، و بين أظهر الناس، قلبه في مشاهدة آيات الحق، و بدنه في معاملة الخلق بالله و لله، لقوله -ﷺ- "الدين المعاملة"[2] و قوله: "و خالق الناس بخلق حسن"[3] أي عاملهم بالله و لله لا بنفسك و هواك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[4].

و أما كونكم عندما تستيقظون قبل صلاة الصبح تراود فكركم أمور الدنيا المتعلقة بانشغالات العمل، فنقول للأخ الكريم هذا شيء عادي طبيعي تقتضيه حياة الإنسان عامة، خصوصا من كانت له أعمال و أشغال هامة منوطة به، و الصالحون في حياتهم البشرية هم من جملة الناس غير أنهم لا تؤثر عليهم الحياة الفانية؛ ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾[5]. إذن التفكر في أشغال الدنيا الصالحة لا بأس به باستثناء العبادات التي يطلب فيها حضور القلب و الخشوع الذي هو سر الحياة في العبادة مثل الصلاة و تخريج الأوراد و التفرغ لذكر اسم الله المفرد، فإن هذه الحالات لا يجوز فيها التفكير و الانشغال بشؤون الدنيا لأن التعلق بغير الله فيها يتنافى مع الخشوع، و الله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)﴾[6]، و أما الأفكار الفارغة التي لا فائدة منها و لا منفعة ترجى فإن تركها و الاستغناء عنها أحرى و أولى

---

[1] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[2] لم أجد هذا الحديث في أي من المصادر. مما يشير أنه شاع عند الناس قولهم: "الدين المعاملة"، فبعضهم يعده حديثا، والآخرون يطلقونه مثلا، ولم نطلع عليه في أي من المصادر الحديثية - والله أعلم.

[3] جزء من حديث صحيح؛ مذكور في "مسند الإمام أحمد"، ج١، ص٢٣٦، رقم الحديث: ٢١٥٥٤- "انظر موسوعة المكتبة الشاملة".

[4] جزء من الآية ٩ من سورة "الحشر".

[5] جزء من الآية ٣٧ من سورة "النور".

[6] المؤمنون.

لقوله-ﷺ: ﴿من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه[1]﴾، و الذي أرشدكم به في هذا الظرف هو:-

- **أولا:** أن تحافظوا على الشريعة المطهرة في جميع أعمالكم و سلوكاتكم مع أداء ما افترض الله عليكم على أحسن وجه و الإكثار من ذكر الله عز و جل و مراقبته سبحانه و تعالى و ذلك أن تعلموا بقلوبكم أن الله يراكم على الدوام و يعلم سركم و علانيتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا[2]﴾.
- **ثانيا:** أن تواظبوا على قول "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت" إحدى و أربعين (٤١) مرة بين صلاة الفجر و صلاة الصبح و لا بأس أن تكثروا منه في سائر الأوقات فإن فيه سرا عظيما لحياة القلوب و تنويرها؛ و أعني بذلك "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت".
- **ثالثا:** ذكر اسم الله المفرد-الإسم الأعظم في أي وقت تيسر لكم من أوقات فراغكم لتستعينوا بذلك على أمور دينكم و دنياكم، و في نفس الوقت يكون ذلك استعدادا لعمل الخلوة إن شاء الله، و ليكن هذا الذكر جهرا إن أمكن ذلك أو متوسطا و إلا فالسر أولى؛ فإن لم يتيسر أمر هذه الخلوة الاستعدادية فلا بأس بتركها حتى يمن الله عليكم بقوة الإرادة و العزم فتدخلون في الذكر باطمئنان و انشراح و ذوق و وجدان، و ما ذلك على الله بعزيز، إنه كريم وهّاب.
- **رابعا:** عندما تأخذون مضجعكم للنوم اجعلوا يدكم اليمنى على صدركم و قولوا "يا باعث" مائة مرة و واحدة، و انووا بذلك أن يقويكم الله على ذكره و شكره و حسن عبادته، فإن الله يبعث فيكم قوة العزم و الإرادة في طاعته و ذكر هذا العدد من اسمه تعالى "الباعث" خاص بسيدي ......، فتح الله عليه و على إخوانه بكل خير.

هذا، و إننا قد توسمنا فيكم و في سيدي .... الخير و الصلاح في طريق القوم التي نحن و إياكم عليها إن شاء الله، و لأجل ذلك فإننا نريد أن نكلف أحدكما بمهمة نبيلة هي الإذن في خدمة الطريقة المتمثل في إعطاء الوسيلة أعني "العهد[3]"، خدمة لديننا الحنيف و نشر محاسنه الطيبة البهية التي هي أصل التصوف و حقيقته التي يستمد منها الصوفي الحقيقي في سلوكه السليم. و أعني بالسلوك السليم؛ حالات المؤمن الثلاث المنوطة به، الملازمة له في كل مجال من مجالات حياته، و هي القول، و الفعل، و الحال؛ أو قل هي المعاملات الثلاث: معاملته مع الله عز و جل، و معاملته مع نفسه، و معاملته مع الناس، كما جاء في الحديث النبوي الشريف حيث يقول -ﷺ:-

[1] حديث صحيح: انظر "حاشية السندي على ابن ماجة"، ج٢، ص:٤٧٤، رقم:٣٩٧٦. نص الحديث: عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال؛ قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم:"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه."

[2] جزء من الآية رقم ١ من سورة "النساء".

[3] العهد على طاعة الله و رسوله-صلى الله عليه وسلم-و الإستقامة.

﴿اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن[1]﴾؛ فهذا هو التصوف الخالص المبني على محض الإخلاص لله في السر و العلانية و حسن المعاملة مع الناس.

و الأمر في هذه المسألة يرجع إليكم فأنتم أدرى بحالكم و أحوال الناس عندكم، فإذا كنتم ترغبون في ذلك بلا حرج و لا تكلف؛ فأخبرونا-فإننا إن شاء الله نعطيكم الإذن و نعطيكم كيفية العمل، و إن لم يكن لكم استعداد أو كنتم ترون أن في الأمر كلفة و مشقة فلا جناح عليكم؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[2]﴾ فإنكم بخير و الحمد لله، و إنكم من الصالحين ما دمتم لله ذاكرين و على عهده و محبته ثابتين راسخين.

و أما الذي شهدتموه من الخير و البركة على سيدي .... إنما هو محض الفضل من الله الجواد الكريم، فالمطلوب منه أن يواصل الذكر الكثير مع دوام الحضور و تعلق القلب بالمذكور ليكون دائما في زيادة من القرب من مولاه عز و جل، و من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. و أما أنتم و من معكم من الإخوان الصادقين الراغبين في الخروج من الظلمات إلى النور و الوصول إلى محض الرضا و الرضوان من الله الكريم المنان، فاعلموا أنه ما هداكم إلى طريق الذكر و صحبة الذاكرين إلا و هو يريد أن يوصلكم إلى حضرة قدسه و عظيم قربه مع المنعم عليهم من النبيين و الصديقين، و لكن كما يريد و في الوقت الذي يريد، و ما على العبد إلا الاستعداد بذكر الله تعالى، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)[3]﴾.

و في الختام-إخواني الأعزاء، وفقكم الله إلى ما يحب و يرضى و سدد خطاكم و سلك بنا و بكم مسلك أوليائه الصالحين من سلف هذه الأمة، و إلى فرصة أخرى. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

أحمد حبيب، حررت في: ٢٠/٠٢/٢٠٠٧م.

[1] حديث صحيح. انظر "المستدرك على الصحيحين" للحاكم النيسابوري، رقم الحديث في المطبوع: ٥٤-"موسوعة جوامع الكلم".

[2] جزء من الآية ٢٨٦ من سورة "البقرة".

[3] الأحزاب.

الرسالة الثانية عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و كفى، و الصلاة و السلام على عبده المصطفى الأمين و على آله و صحبه و سلم تسليما. من عبد ربّه أحمد حبيب بلد الجزائر، و من معه من الأحباب في الله و لله، صانهم الله و رعاهم-آمين.

إلى من سبقت له من الله العناية فأشرقت عليه أنوار الولاية فأخرجته من ظلمات الحس إلى معاني أسرار حضرة القدس، سيدي ...... و من معه من الإخوان لله و في الله، أخص بالذكر منهم الذاكر الشاكر السيد ...... حفظكم الله و صانكم من كل مكروه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته؛ ما دمتم على الله مقبلين و إليه متوجهين و بكتاب الله و سنة رسول الله مستمسكين، و الله ولي الذين آمنوا و هو يتولى الصالحين.

و بعد، سيدي الكريم، لقد وصلت بأيدينا رسالتكم الطيبة و قرأناها و فهمناها فهما جيداً و سررنا بها كثيراً، حيث أطلعتمونا من خلالها على ثباتكم في طريق القوم، طريق الذكر و الصدق و الإخلاص-لله و بالله، غير أننا تأسفنا شديد الأسف لما نزل بكم من الظنون التي بلغت بكم إلى تلك التصرفات الجلالية القاسية نحو زوجتكم الكريمة و إخوانكم الفقراء الميامين-و لكن في نهاية الأمر رجعنا إلى الله بالحمد و الثناء، حيث أنكم خرجتم بلطف الله مما أصابكم بسلام و لله الحمد. و لا شك أنكم كنتم مغلوبين على أمركم فيما صدر منكم، و في مثل هذه الأحوال كان المطلوب منكم إخبارنا بذلك على الفور حتى نرشدكم و نوجهكم بالأسلوب الجيد و الطرق السليمة للخروج من محنتكم، و لكن قدّر الله و ما شاء فعل. و أمّا الذي عليكم فعله الآن فهو إنقاذ زوجتكم الطيبة من الهلاك و الخسران و بيتكم، و الله يعوض لكم ما فات بالهناء و الرخاء و حسن المعاشرة، فكن عفوّاً صفوحاً كي تحظى بما أعدّه الله للعافين عن الناس من الأجر العظيم في قوله عز من قائل:- ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] فبكظمك الغيظ و عفوك عمن أساء إليك تكون، إن شاء الله، من المحسنين الذين يحبهم الله لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، و أمّا مفارقة

[1] جزء من الآية ١٣٤ من سورة "آل عمران".

الإخوان الفقراء فإن ذلك من أسوء حالات المؤمنين لقوله-ﷺ: "الجماعة رحمة، و الفرقة عذاب"[1]، و من ذلك قول سيدي أحمد العلاوي-رضي الله عنه:-

جمعكم عين الرحمة	جمعكم به حكمة
و من حكم سمى	عليكم رضوان الله[2]

إذن، فالواجب عليكم جميعا هو أن ترجعوا إلى الله و تجمعوا شملكم به على بساط ذكره و الأخوة الصادقة من أجله، فإذا فعلتم ذلك فإن الله يمدكم بمدد الأنوار و يقطع عنكم مدد الظلم و الأغيار و ينصركم على النفس و الشيطان و الهوى و يرزقكم من حيث لا تحتسبون حسّا و معنى.

و أمّا استفساركم عن المرحلة الأخيرة من الخلوة، فاعلم، سيدي الكريم، أن الخلوة بمراحلها الثلاث هي عبارة عن التوجه التام إلى الله و الإقبال عليه بنيّة صادقة؛ فالمرحلة الأولى تعني الانقطاع إلى الله ضمن قوله تعالى:- ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨)﴾[3]، أي انقطع إليه انقطاعا، فهي مرحلة إعدادية أو قل استعدادية لما يستقبله صاحب هذه الخلوة من تجليات إلهية و فيوضات ربانية قدسية؛ و المرحلة الثانية من الخلوة تتضمن بداية وجدان معاني و أسرار حقيقة التوحيد التي يفيضها الحق على قلوب أوليائه الصالحين في خلواتهم، مما لا يدخل تحت وصف أو حصر، و لا شك أنكم نلتم نصيبكم من ذلك و الحمد لله على عظيم فضله و نعمته. و ليعلم سيدي الكريم أن شروق أنوار هذه المرحلة الثانية يشتمل على معنى قوله تعالى:-

[1] جاء في "التمهيد لما في الموطأ من المعاني و الأسانيد" لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ج٢١، ص:٢٨١ ما نصه: وروى النعمان بن بشير، عن النبي-صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "الجماعة رحمة، والفرقة عذاب". والآثار المرفوعة عن النبي-صلى الله عليه وسلم -في هذا الباب كثيرة جدا، وكذلك عن الصحابة أيضا. وروى أبو صادق، عن علي بن أبي طالب أنه قال: إن الإسلام ثلاث أثافي-الإيمان، والصلاة، والجماعة، فلا تقبل الصلاة إلا بإيمان، ومن آمن صلى وجامع، ومن فارق الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. بطاقة الكتاب: "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد"، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ عدد الأجزاء: ٢٤.

[2] من قصيدة "بشراكم خلاني"، "ديوان العارف بالله و الدال عليه الأستاذ الأكبر أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي"-رضي الله عنه. القصيدة موجودة في صفحة ١٧، الطبعة الرابعة-الناشر: المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم.

[3] المزمل.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ[1]﴾ -فبظهور هذه الآيات، آيات القرب و التداني يطمئن القلب و ينشرح الصدر و يهبّ نسيم القرب على الروح بعد طهارتها من كدورات الحس فتجول في حضرة الأنس حسب استعدادها، و علامة ذلك وجود حلاوة الذكر و الشوق إلى شهود المذكور.
و أمّا المرحلة الثالثة و الأخيرة التي طلبتم منا شرحها بالتفصيل، فاعلم، علمك الله، أنّ شرحها بالتفصيل لا تسعه هذه العجالة القصيرة، و لكن عملا بالمثل المشهور: ما لا يدرك جلّه لا يترك كله، أقول؛ مستلهما من الله الصواب، و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب:-
إنّ المرحلة الأخيرة من الذكر الخاص لها معنيان؛ الأول يفيد معنى قوله تعالى من الجملة ما قبل الأخيرة من آية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ ، و هي قوله: ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ فبعدما يشاهد الذاكر معاني الآيات في الآفاق، و "الآفاق" هنا هي ما خرج عن نفس الإنسان من فضاء و أكوان، يعكس الذاكر في هذه الحال نظره في باطنه و يذكر الله في نفسه حتى يشاهِد من آيات ربّه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)[2]﴾. أما المعنى الثاني، فإنّ الذاكر لا يزال يذكر الله في نفسه و يتحرى الذكر و الله عز و جل يذكره و يكشف له عن آياته التي ما هي إلا آثار أنوار صفاته حتى يخرجه برحمته من الظلمات إلى النور؛ فحينئذ يتحقق الذاكر بمعرفة الله في كل شيء، و ذلك معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[3]﴾ -غير أن هذا الإدراك هو إدراك أوّلي يسمى بشروق أنوار بداية المعرفة، و لذا يجب على الذاكر بعد خروجه من الخلوة مواصلة الذكر و الثبات عليه مع القيام بشؤون عائلته، و كذلك أعمال معيشته؛ بحيث أن هذه المهام الدنيوية لا تتناقض مع الحياة الروحية، و الذي يجمع بينهما يكون قد تحقق.

تنبيه:
ليعلم الأخ الكريم أنه بعد انتهاء أيام الخلوة المعدودات يكون قد تمكن إن شاء الله من حالات الذكر الثلاث؛ البداية؛ و الوسط؛ و النهاية ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (٤٢)[4]﴾، فإن ذكر الله في الآفاق يجد أن

---

[1] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[2] الذاريات.

[3] جزء من الآية ٥٣ من سورة "فصلت".

[4] النجم.

الله هو الظاهر -ليس فوقه في الظهور شيء، و إن ذكره في نفسه يجد أن الله هو الباطن -ليس دونه في البطون شيء، و معنى قولنا يجد أن الله كذا و كذا أي أنه يعلم بنور إيمانه علما يقينا لا يقبل النفي بأية حال أن الله هو الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم، و أن سائر المخلوقات هي مظاهر وحدانيته، كما قيل: "في كل شيء له آية تدلّ على أنه الواحد"؛ فافهم، فهّمنا الله و إيّاك. كما أن هذه المعرفة تحصل للذاكر تدريجيا، أي شيئا فشيئا، و ذلك بدوام التعرض لنفحات الله و الاستعداد لمنحه و مواهبه بملازمة ذكره، كما قال الشيخ أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: فعمدة الطريق أمران: الملازمة؛ و المخالفة؛ الملازمة لذكر الله؛ و المخالفة لما يشغل القلب عن الله، و هذا هو السفر إلى الله". انتهى كلام الإمام.

و أمّا ما يطرأ على الذاكر من مشاهدات، فاعلم أن المشاهدات هي أمور ذوقية وجدانية، بل هي لطائف ربانية لا تدخل تحت وصف أو حصر، و إنما يجب التعامل معها بما يلي: أن يعمل الذاكر بالبيّن الواضح منها، أي المشاهدات، و البيّن الواضح هو الذي لا يخالف كتابا و لا سنّة و لا إجماعا. و مثل ذلك كمثل رجل له بستان فيه من جميع أصناف الفاكهة؛ لكن يوجد منها الناضج؛ و غير الناضج -فالمطلوب منه في هذا الحال أن يأخذ ما نضج و صلح للأكل و يترك غير الناضج حتى ينضج و يطيب للأكل، فإن تناول غير الناضج من الفاكهة فإنه يجد لها طعما غير طعمها الحقيقي، و إذا ما أخبر بذلك الطعم فإنه يخبر عن غير الطعم الحقيقي للفاكهة. فهذا المثل ضربناه للفهم الصحيح و الفهم غير الصحيح؛ فإن الفاكهة واحدة و الطعم يختلف حسب النضج و عدمه، و لهذا فإنه يجب على المريد ألا يستعجل الفهم و المعرفة من الله، و إنما يستعجل الآداب و الاستعداد من نفسه، هذا هو المشهور المعتمد في التربية و السلوك الخاص عند أهل الله المحققين، و الله يقول الحق و هو يهدي السّبيل. و أما أوراد الطريقة التي طلبتم منا أن نفيدكم بها فإنها تصلكم إن شاء الله مرفقة بهذه الرسالة، و أما النسخة الصوتية المسجلة فسنحاول عندما تتوفر لدينا أن نفيدكم بها عن طريق البريد الالكتروني، إن شاء الله.

و أمّا استدراك ما ضاع منكم من الوقت فاعلم أن الوقت لا يستدرك و إنما الذي يستدرك هو ما في الوقت من الأجر و الثواب و القربات، و استدراك ذلك يكون بالنّدم على ما فات من الموافقات و الحرص على الاستقامة في الآتي؛ لقوله تعالى:-
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠)[1]﴾ .

---

[1] الفرقان.

و أمّا انشغالك أخي الكريم بهموم الغير على حساب نفسك فإنه انشغال في غير محلّه، و إنّ المطلوب منك هو الاشتغال بهمومك، و أمّا الغير فتحب لهم الخير و تكره لهم ما تكره لنفسك من الشّر ؛ الله حفيظ عليهم و ما أنت عليهم بوكيل، و خير الأمور أوسطها.

أمّا زوجتك الطيبة التي دامت لك مخلصة وفيّة طيلة عشر سنوات –فإنّها الآن في محنتها هاته تنتظر منك العطف و الإحسان و العفو عما صدر منها من إساءة نحوك، و اذكر قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) ﴾[1]؛ و في آية أخرى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]. فانقذ إذن زوجتك من الخسران و ابنتك من بؤس اليتم، و الله يصلح شأنكم و يغنيكم من فضله لقوله عز من قائل في حق الأزواج: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[3]. و أخيرا، إن كنت تريد سعادتك و سعادة زوجتك، فعليك بإرجاعها إلى الحياة الزوجية بجانبك فتعيشا سويا كما كنتما من قبل، بل احسن من ذي قبل إن شاء الله، أما كونك وهبت حياتك لله عز و جل، فإن جعل الحياة لله ليس معناه مفارقة الحياة الزوجية، فسيد المرسلين و قدوة المتقين، سيدنا رسول الله –ﷺ– كان له أزواج و بنين و قد أمر بالزواج و رغب فيه، و ذلك مع كونه واهبا حياته لله كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾[4]! فالفقراء الذاكرون أهل النسبة و الطريقة هم أولى بالتأسي به– ﷺ، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾[5].

---

[1] الرحمن.

[2] جزء من الآية ١٣٤ من سورة "آل عمران".

[3] جزء من الآية ٣٢ من سورة "النور".

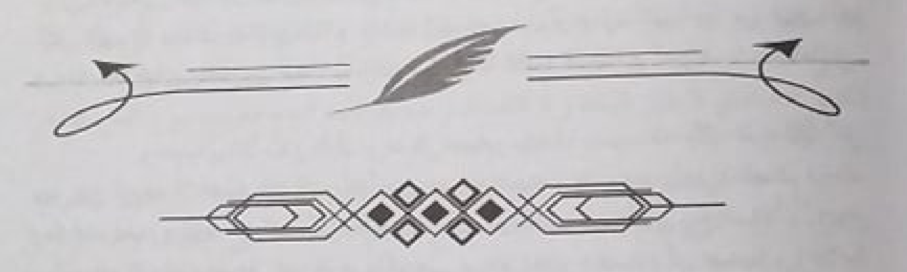
[4] الأنعام.

[5] الأحزاب.

هذه نصيحتنا لكم، آملين أن تجد آذانا صاغية و قلوبا واعية، و الله ولي التوفيق.

و ختاما، بلّغوا منّا أزكى السلام مع أطيب التحيات و أحلى التمنيات إلى جميع الفقراء الذاكرين الشاكرين العاملين في رحاب القرب من الله و الأنس به، و إلى فرصة أخرى. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

أخوكم في الله أحمد حبيب.



الرسالة الثالثة عشر:

بسم الله الرحمن الرحيم

و ما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيب، و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

من عبد ربّه الحاج أحمد حبيب كان الله له و لجميع أحبته في كل شأن وليّا و نصيرا إلى كافة إخواننا لله و في الله كل واحد باسمه، حفظ الله الجميع، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته و رضوانه ما دمتم لله ذاكرين شاكرين و بسنة رسول الله -صلى الله عليه و على آله و سلم- عاملين و لهدي سلفنا الصالح متهججين و على عهد الله، و المحبة الإلهية الربانية محافظين و ثابتين و بشعائر هذا الشهر المبارك المعظم متمسكين صائمين قائمين و لله خاشعين قانتين مخبتين و الله مع المحسنين و هو يتولى الصالحين. فهذا هو شهر الله و شهر القرآن -الذي أوّله رحمة؛ و وسطه مغفرة؛ و آخره عتق من النار. اللهم إنّا نسألك رضاك و الجنة و ما قرب إليهما من قول أو عمل، اللهم أجرنا من خزي الدّنيا و عذاب الآخرة و اجعلنا من عبادك الصّالحين و اختم لنا بخاتمة السّعادة و الغفران، يا ربّ العالمين.

و اعلموا أيها الأحبة في الله أنّ من فضائل الصيام و مزاياه أنه منسوب لله -ﷻ- لقوله ﷺ: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي و أنا أجزي به، يدع شهوته و طعامه من أجلي! للصائم فرحتان فرحة عند فطره، و فرحة عند لقاء ربّه و لخلوف فيه -أي فمه- أطيب عند الله من ريح المسك[1]" -رواه مسلم -رحمه الله- في صحيحه. ثبتنا الله و إياكم على صيامه إيمانا و احتسابا؛ أي تصديقا و إخلاصا لوجه الله الكريم، كما جاء في الحديث الشّريف: ﴿من صام رمضان إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدّم من ذنبه[2]﴾. و جعلنا الله و إيّاكم من المقبولين المرحومين المغفور لهم في هذا الشّهر الكريم -آمين.

---

[1] و جدت صيغة أخرى للحديث: عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة -رضي الله عنه- يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به؛ والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. وللصائم فرحتان يفرحهما؛ إذا أفطر فرح بفطره؛ وإذا لقي ربه فرح بصومه" -صحيح مسلم، ج٢، ص٨٠٧، حديث رقم ١١٥١- "موسوعة الحديث الشريف -إسلام ويب".

[2] صحيح البخاري، ج١، ص٢٢، حديث رقم٣٨- "موسوعة الحديث الشريف -إسلام ويب".

و اعلموا أيها الإخوان أن لربكم في أيام دهركم نفحات، و خصوصا في هذا الشهر المعظم ألا فتعرضوا لها؛ ففي النهار بالصيام الصحيح؛ صيام الصالحين -و هو إمساك جميع الجوارح عن الآثام و عن الكلام مع الإكثار من ذكر الله قدر الإمكان، و اغتنموا ليله بالقيام- هذا مع تخصيص حصة الذكر باسم الله الأعظم، و هذه الحصة سواء كانت بالليل أو بالنهار لتستفيدوا منها على قيامكم بين الله و يفتح الله عليكم بمفاتيح الخير، إنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، و لتكن أهل المحبة الإلهية الربانية شرطا فيما بينكم و كذلك التعظيم لبعضكم البعض، و احذروا من الجدال و الخصام مع الخاص و العام في سائر الأوقات و الأيام، خصوصا في هذا الشهر؛ شهر الصيام الذي معناه الكف و الإمساك عن جميع ما نهى الله عنه، و العبد الصالح الذاكر لله هو في الحقيقة صائم بقلبه على الدوام؛ و هذا الأخير صيام خاصة الخاصة، و من لم يجد فليتواجد قصدا يتعرض لفضل الله بالصدق و القصد الصحيح فالله كريم منان وهاب على الدوام ينظر من عباده التوجه إليه و حسن الإقبال عليه، كما جاء في الحديث الشريف: "إن الله ينزل إلى السّماء الدّنيا في ثلث الليل الآخر فيقول من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطيه، من يدعوني أستجب له[1]". و ثلث الليل الآخر هو وقت إجابة الدعاء و قبول صالح الأعمال، و إنّ أفضلها و أشرفها ذكر الله جل جلاله، و أما معنى الحديث؛ حسب ما جاء عن العلماء بالله تعالى، فهو أنّ الليل هنا يراد به المخلوق لأنّ الله نور و المخلوق ظلام؛ قال ابن عطاء الله -رضي الله عنه: الكون كله ظلمة و إنّما أناره وجود الحق فيه[2] -و بعبارة أخرى: إن لله الوجود الكامل التام الذي لا يقبل الزيادة و لا النقصان و المخلوق أصله العدم -فالوجود نور و العدم ظلمة.

و أما نسبة الثلث الآخر من الليل للإنسان فذلك لأنّ الإنسان آخر مخلوق خلقه الله و شرّفه و كرّمه على جميع مخلوقاته و جعله موضع أمانته و الأمانة هنا هي التكليف و فيه الإشارة إلى سرّ توحيده عز و جل و المراد بالإنسان بعد سيدنا آدم عليه و على نبينا الصلاة و السلام -أعني به الإنسان الكامل، لا كل من هو على صورة و شكل الإنسان، فإنه يوجد في بني آدم من هو على شكل الإنسان و هو من جملة الحيوان بل هم أضل كما جاء في القرآن؛ و أما نزول الحق سبحانه و تعالى فإنه يجب الإيمان به كما جاء به النص؛ فلا يجوز فيه التقييد و التحديد بالتصوير و التأويل إلا

---

[1] عن أبي هريرة، أن رسول الله -صلى الله عليه و سلم- قال: إن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل أو نصف الليل؛ فيقول: "من يستغفرني فأغفر له من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ثم يبسط يديه "فيقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم" - "المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبي نعيم" -رقم الحديث (ر/ع): ١/٥٤١/١٧٢٢ -موسوعة "جوامع الكلم".

[2] نص الحكمة العطائية بكاملها: " الكون كله ظلمة و إنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار و حجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار" -أنظر كتاب "الحكم العطائية- شرح و تحليل"، ج١، ص١٩٧، المؤلف: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي -رحمه الله- الطبعة: المطبعة العلمية.

ما كان من الفهم المطلق المنزه عما لا يليق بكمال الحق و جلاله، و من هنا يكون معنى النزول:- التنزّل و هو أي التنزّل في حق المخلوق الترك تفضلا و إكراما بدون فائدة أو مقابل! فإذا قلت تنزّل فلان عن حقه أو عن شيء مما يملكه معناه تركه لغيره، فضلا منه و كرما و هذا الترك هو مظهر من مظاهر الإحسان بالنسبة للإنسان، أما بالنسبة لمولانا-ﷻ، و لله المثل الأعلى، فالنزول أو التنزّل من الرّب-ﷻ-هو إشارة إلى عظيم تجليه على عباده بمحض فضله و إحسانه من عفو و عافية و تجاوز عن خطاياهم و توبة و غفران و هداية و توفيق، و بهذا التجلي يبشّر الله عز و جل عباده كافة بأنه قريب منهم يجيب دعوتهم و يقضي حاجاتهم إذا استجابوا له و آمنوا به، و هذا ما ينتظره الله من عباده، أي الاستجابة له و الإيمان به، فإذا فعلوا ذلك وجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى خالقهم و فقر ذاتي شامل لجميع حالاتهم إلى الله الغني الحميد الذي بيديه الخير و هو على كل شيء قدير. هذا التجلي هو التجلي العام لعامة الإنس و الجن و أصحابه يتراوحون في أمرهم بين اقتراب و ابتعاد أو بين طاعة و معصية، تارة يحسنون، و تارة أخرى يسيئون، و هكذا حتى يثبتوا على الطاعة و الإحسان فتدركهم العناية الرّبانية فتخرجهم من الظلمات إلى النور و من الغيبة إلى الحضور و ذلكم المقام مقام الخواص أهل النور. و أهل هذا المقام يعملون لله بالإخلاص و الصدق فهم صادقون مخلصون، و أما مقام التجلي الأعظم فهو لخاصة الخاصة، و هو مقام الشهود و العيان، و أهله يعملون بالله و هم الصّديقون المخلصون و كلا وعد الله الحسنى، و قد ذكر سيدي أبو مدين-ﷺ-نصيبا من شهودهم إذ يقول:-

يا فـوز قـوم بالله فـازوا   فلم يروا في الورى سواه

قربهم منـه فاجتباهـم   فنزهوا الفكر في علاه

ليس لهم للسوى التفات   كيف و قد شاهدوا سناه

أزال حجب الغطاء عنهم   فاستنشقوا نفحة هـواه

تجلى بالـنور و البهـاء   لهم فقالوا يا هو يا هـو

فـقال إني لكـم محب   رب كريـم نعـم الإلــه

إلى آخر كلامه-رضي الله عنه.

إذن فتفطنوا أيها الأحبة الأفاضل لهذا الخير العميم و الفضل العظيم و احرصوا على أن تجمعوا بين الغنيمتين؛ و هما غنيمة القلب؛ و غنيمة الجوارح، فاعملوا بقلوبكم بإفراد وجهتكم لله مع عدم التفاتكم إلى غيره و سواه، قانتين خاشعين مخبتين له، تمتطون في ذلك مطايا المحبة و الشوق و التعظيم و الإجلال لله الكبير المتعال، و اجتهدوا في عمل جوارحكم فوظفوها و استعملوها في سائر الأوقات فيما يرضي الله ربكم و خصوصا في الأوقات المرجوة للقبول مثل ثلث الليل الآخر.

و اعلموا أن ظاهر الإنسان هو موضع تحقيق العمل بما أمر الله و الانتهاء عما نهى عنه، و التقرب إليه تعالى بنوافل الأعمال، فإذا جمع العبد بين صلاح القلب و الجوارح يكون من أولياء الله الصّالحين الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، و كما أنكم تعلمون تمام العلم بأن الله هو الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم، فأنيبوا إليه في ظاهركم و باطنكم و أسلموا له لكي يحييكم حياة طيبة ويجعل لكم نورا تمشون به بين الناس؛ و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

و في الختام، نرجو من الله الكريم الوهاب أن يمنّ عليكم في هذا الشهر الكريم بما منّ به على عباده الصّالحين، إنه ولي التوفيق. كما نفيدكم علما أن جميع إخوانكم هنا بالجزائر العاصمة و ضواحيها بخير و على خير، صائمين قائمين، ذاكرين شاكرين لله رب العالمين، و إنهم في نعمة يُغبطون عليها. نسأل الله الشكر على نعمه و المزيد من فضله و رضوانه إنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله. دمتم في رعاية الله و حفظه آمين.

عبد ربه الحاج أحمد حبيب، خميس الخشنة يوم أول رمضان ١٤٢٥ هـ.



يا رسول الله! فقال له لا تغضب! ثم أتاه عن شماله و قال أوصني يا رسول الله! فقال لا تغضب![1] إذن فعليك بالابتعاد عن الغضب و التخلص منه بكل وسيلة و اجعل قلبك عملا لأنوار الإيمان و أسرار التوحيد و المعرفة بالله و استعن على ذلك بكثرة ذكر الله و الصبر على أذى الناس فإن الله يكفيك شرهم و يحميك منهم إنه ولي الذين آمنوا و هو يتولى الصالحين، و أما أقاربك و أصدقاؤك الذين أساؤوا إليك من قبل و هم الآن يطلبون منك المساعدة في أمور الدين؛ فساعدهم و ادعهم إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة عسى الله أن يهديهم إلى صراطه المستقيم و يجعلهم من الذاكرين، و ما ذلك على الله بعزيز.

و أما الذي اقترفوه من أخطاء و إساءة في جانب الدِّين فنقول لهم بعد التوبة إلى الله؛ إن الله يقول في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)[2] ﴾، و في آية أخرى:- الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[3] ﴾، و في الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له[4]». و أما الذي يتوجب عليك فعله نحو زوجتك فهو كما يلي: أن تمحو صفحة الماضي و تطويها و تواريها التراب و أن لا تعود إليها أبدا، و تفتح صفحة جديدة في الحياة الزوجية السعيدة ملؤها المودة و الرحمة اللتان جعلهما الله عز و جل بين الأزواج في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)[5] ﴾.

أما مسألة صهركم حيث أنه ترك-ما افترض الله عليه-أداءه من شعائر الإسلام بعد اعتناقه للإسلام؛ فإن كان الأمر تركا لأداء الشعائر الدينية فقط فعليه بالتوبة النصوح؛ فليتب إلى الله فإن الله يحب التوابين و يحب المتطهرين و ليحذر من التلاعب في الدين و يتقي الله في ذلك فإن الله شديد

---

[1] وجدت الحديث بهذه الصيغة، من بين الصيغ الأخرى: "عن رجل من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل يا رسول الله أوصني، قال لا تغضب، قال، قال الرجل ففكرت حين قال النبي-صلى الله عليه وسلم-ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله"-انظر "مسند الإمام أحمد"، ج٥، ص:٣٧٣، رقم الحديث: ٢٢٦٦٠. و الحديث مذكور في "موسوعة الحديث الشريف"-إسلام ويب.

[2] سبق تخريج الآية الكريمة أعلاه.

[3] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[4] حديث صحيح لغيره، "سنن ابن ماجة"، ج٢، ص:١٢٦١، رقم الحديث: ٤٢٥٠.

[5] الروم.

العقاب للعابثين المستهزئين، كما أنه للصادقين تواب رحيم، غفور حليم. و أما واجبك نحوه فعليك بمساعدته إن احتاج إلى ذلك و ادعه إلى الله بالحكمة و الموعظة الحسنة فإذا رغب في أخذ الوسيلة و دخول طريقتنا، طريقة الإخوان الصوفية كما سماها بهذا الإسم المبارك أستاذنا الكريم الشيخ سيدي علي البوديلمي-قدس الله روحه في عليين، فلا مانع من ذلك فإننا نرحب به أخا في الله من جملة الإخوان الذاكرين، و أما كونه من الأشخاص الذين أساؤوا إليك و آذوك، فاعلم يا سيدي أن التوبة تمحو ما قبلها من الإساءة و الأذى، أي أن التوبة الصادقة تطهر صاحبها مما لا يحبه الله و لا يرضاه و بذلك يصير محبوبا عند الله لقوله-ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ[1] ﴾. فكن عفوا صفوحا محبا لمن يحبه الله، هكذا كان سيدنا رسول الله-ﷺ-يعفو عمن ظلمه، و يصل من قطعه، و يعطي من حرمه، و يتحمل الأذى من الناس لأجل الله رجاء لهدايتهم، و أخلاقه الكريمة في هذا المجال لا تعد و لا تحصى، و إننا ننبهناك لهذا الخلق العظيم فتخلق به و اشدد يدك عليه و استعن بالله و توكل عليه يجعل الله لك فرجا و مخرجا من كل ضيق و حرج؛ ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ[2] ﴾.

و أما مسألة مروقه من الدين عدة مرات؛ فإن كان مروقه هذا رِدَّة فعليه بالندم على ما اقترفه من أعمال الكفر لأن الردة كفر، ثم يعتنق الإسلام من جديد بالشهادتين و الغسل و صلاة ركعتين و العزم على أن لا يعود إلى ملة الكفر بعد أن أنقذه الله منها و يتقي الله في نفسه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا[3] ﴾. و أما رغبتكم الطيبة في زيارتكم لنا بالجزائر فإنه بالنسبة لنا شرف كبير فأهلا و سهلا بالأحباب الكرام و إنكم مأذونون أنتم و الصديق الحميم سي .... في هذه السياحة و الزيارة المباركة، و ذلك مع التيسير من غير تكلف، و ما أحسن لو تكون هذه الزيارة في شهر مارس لكي تشاركوا بحضوركم إخوانكم الفقراء في الاحتفال بذكرى مولد الرسول المصطفى-ﷺ. و الله ولي التوفيق، و إلى فرصة أخرى إن شاء الله. دمتم في رعاية الله و حفظه-آمين، و بلغوا منا أطيب التحيات و أجمل التمنيات إلى جميع الإخوان الفقراء و الأحباب في الله و المحبين لأهل الله. حفظ الله الجميع و صانهم من كل سوء و مكروه، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

عبد ربه أحمد حبيب، في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧ م.

---

[1] جزء من الآية ٢٢٢ من سورة "البقرة".

[2] جزء من الآية ٣ من سورة "الطلاق".

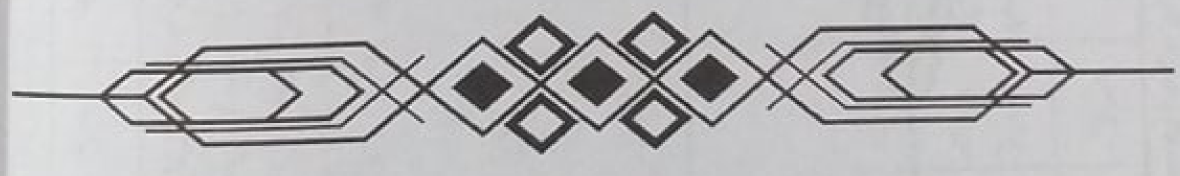
[3] جزء من الآية من سورة "الطلاق".

قال رسولُ اللهِ ﷺ:

﴿إنَّ من الشِّعرِ حِكمَة﴾

صحيح البخاري، ج٥، ص٢٢٧٦

ملحق الكتاب- القسم الثاني:
من قصائد الشيخ سيدي أحمد حبيب في إرشاد المريد والمعرفة بالله



سِرُّ اللهِ لَـدَيْـنَـا

سِـرُّ الله لَـــدَيـنَـا[1] لـقـد فَـاضَ وانـتَـشَر
كنُـــورِ الشَّـمس لَمَّا عَــمَّ الـكونَ وظَهَـرْ
إنَّـهُ مَـاءُ الــحَـيَـاةِ لِلقُـلوبِ كـالمَطَرْ
يَـراهُ فتىً فَـطَّــان قـد صفا لهُ النَّظَرْ
أيـا مَـنْ لايـدريـهِ لا تُبَادِر بـالإنْكَـارْ
سَلِّم واجـنَـح لأهلِه كي يبدو لكَ الخبرْ
إسـمَـعْ واتَّبِـعْ ولا يَـغـرَنَّكَ الـغُـرورْ
ذاكَ شَـرطٌ في السُّلوك لنهجِ الهادي المختارْ
وإنْ أردتَ تَــروى و أن يسقِيكَ الخَمَّارْ
بادِرْ و ادخل الخَـلوة واقطع عنكَ الأغْيَارْ
واذكرِ الإسْمَ الأعظم واستغرِق فيهِ الهِمَمْ
حتَّى تَـرى في الآفاق[2] وفيـكَ سِـرَّ القِدَم
فـإذا حـقَّـقْـتَـه لا تَـرى مـاسوى الله
فى الأرضِ وفي السماء[3] لا إلـهَ إلَّا الــلَّــه
مَا أنَا إلا خَـــدِيــمْ لِهـذا السِّرِّ العظيم
لَـسـتُ مِنَ الـمُـدَّعِين لا واللهِ يــاكـــرام

---

[1] يشير الأستاذ إلى سر التوحيد. جاء في كتاب: "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، ج١، ص:٦٢- موسوعة "المكتبة الشاملة"، المؤلف: علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء:٩، ما نصه: "....لأن الإحسان هو الإخلاص، وهو سر من أسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملكٌ مقربٌ، ولا نبي مرسلٌ، كما جاء في الحديث المسلسل الرباني: "الإخلاص سر من أسراري أودعته قلب من أحببت من عبادي".

[2] الآفاق هنا تشير إلى الآية القرآنية من سورة "فصلت": ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٣٥)﴾.

[3] إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، جزء من الآية ٣٥ من سورة "النور".

هــذا فيض شيخنا الدَّيلمي سامي المقَام
جَـزَاك الله يَاهُـمَام بالرِّضَا على الـدَّوام
والـصَّلاة و الـسَّلام على سَـيِّـد الأنَـام
مُـحَـمَّـدٍ وآلـهِ و الصَّحَـابَـةِ الكرام



و له أيضًا: يَا طَالِبَ العِلم المَكْـنُـونْ

يَاطَالبَ العِلم المكنُونْ[1] ألا آسلُكْ طَرِيقَ القَـومْ
دَع الأوهَـامَ وأقـبِـلْ جُـدَّ سَيرًا لـلمَـرامْ
إن كنت حقا طَـالِـبا لَا تَكتَفِي بالـكَـلامْ
إتَّبعنِي وَلِي سَـلِّـم لا تَـلـتَفِـتْ لـلأنَـامْ
فِي السِّرِّ و فِي الجـهـر تَحظَى مِنِّي بـاهتِمَامْ
فَـارق اللَّـهـو ولازم باب الذِّكرِ يَا غُـلام

[1] جاء في كتاب: "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، ج١، ص:١٢-"المكتبة الشاملة"، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي-القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ، ما نصه: "وارجع إلى الصدر الأول من عصر المسلمين الزاهر، تجد أن من أئمة هؤلاء الملهمين سيدنا عمر بن الخطاب-رضى الله عنه، والذي قال فيه رسول الله-صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتى مكلمين ومحدثين، وإن عمر منهم" . ومنهم الإمام عليّ بن أبي طالب-رضى الله عنه، الذي أشار إلى صدره بعد أن تأوه مرتين، ثم قال: "إن هاهنا علوما جمة؛ لو وجدت لها حملة!!" . ويروى عنه أنه قال: "لو شئت لأوقرت من تفسير الفاتحة سبعين بعيرا"، أولئك هم علماء الله بحق، الذين عناهم رسول الله-صلى الله عليه وسلّم بقوله:"إن من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل" .

فـالله مِنْـكَ قَـرِيـبٌ ... لَكِنَّكَ عَنـهُ راغِبٌ[1]
انْتَبِهْ و انْهَضْ إليه ... وَ كُنْ لَـهُ عَبدا مُنِيب
وَ لِـتَعْـلَم أنَّـهُ يَـراك ... إنَّـكَ عَـنهُ لا تغيبْ[2]
لاحِظْهُ فِـيمَا يُـبْدِيه ... لَكَ مِنْهُ يَـا أَرِيبْ
تَصْفو لَكَ النَّظْرَةُ ثُمَّ ... تُشَاهِدُ سِرًّا عَجِيبْ
فَتُدرِكُ كُنْهَه الحَضْرَةَ ... مُطْلَقًا بِـلا قُـيودْ
وَ لِـتَفْـنَى فِـيهِ بِـه[3] ... وَ مِـنْـهُ إلَيـهِ تَعـودْ
كَـالـمَوجِ فِي البَحر ... فَـهُو مَـوجودٌ مَفْقُودْ[4]
حَدِّدِ البَصَرَ و اعْتَبِرْ ... عَسَاكَ تَرقَى للشُّهُودْ[5]
فِي الذِّكرِ قَلبُكَ حَضِّرْ ... وَ أكْثِرْ للهِ السُّجُـودْ
فَـالله يُـدنِـيكَ مِـنْـهُ ... وَ يَحْمِيكَ شَرَّ الصُّدودْ
هَـذَا سِـرُّ أُستَاذِنَـا ... الـدَّبْـلَمِي المَعْهُودْ
خَـلَّـدَ الله ذِكْـرَهُ ... هَـكَـذَا وَعْـدُ الوَدُودْ
يَـاربِّ صَـلِّ وَسَـلِّمْ ... عَلَى نُـورِكَ المُعظَّمْ
نَبِيِّكَ الصَّفِيِّ الأَكْـرَم ... وَ الآلِ وَ مَـنْ والاهْ

---

[1] إشارة إلى الآية ١٦ من سورة "ق": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ و الله أعلم.

[2] إشارة إلى الآية ٧ من سورة "المجادلة": ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾. و الله أعلم.

[3] مدار هذا البيت الآية ١٦٢-١٦٣ من سورة "الأنعام": ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾. و الله أعلم.

[4] مدار هذا البيت الآية ٧ من سورة "الأعراف": ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)﴾. و الله أعلم.

[5] مدار البيت؛ ما جاء في سورة "يونس": ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (جزء من الآية ١٠١). و الله أعلم.

و له ايضا: يا من تريد الحضور

يَا مَنْ تُرِيدُ الْحُضُورَ وَ الأُنْسَ بِالْمَذْكُورْ

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَ تَـرْكِ كُلِّ مَحْظُورْ

سِرًّا وَ عَـلاَنِيَةً يَحْصُلْ لَـكَ الطُّـهُورْ

فَتَصِيرُ لَهُ أَهْـلاً لَكَ تُـرْفَعُ السُّتُـورْ

وَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمَامٍ يَحْمِيكَ مِنَ الشُّرُورْ

يَـكُـونُ رَبَّـانِيًّا وَ ذَا سَـيْرٍ مَبْـرُورْ

فَـإِذَا وَجَـدْتَـهُ فَسَلِّمْ لَـهُ الأُمُـورْ

وَ كُنْ طَـوْعَ أَمْرِهِ لاَ تَلْتَفِتْ لِلظُّهُورْ

وَ فِي حَـالِ السَّيْرِ تَبْدُو لَـكَ الأَنْوَارْ

فَتَرَى مِنَ الْمَعْنَى مَا لاَ يُدْرَكُ بِالأَبْصَارْ

فَـإِذَا تَـمَّ الشُّهُـودُ تَغِيبُ عَنِ الأَثَارْ

فَلاَ تَرَى فِي الْوُجُودِ إِلاَّ الْوَاحِدَ الْقَهَّارْ

كَانَ اللّٰهُ وَ لاَ شَيءَ وَ الآنْ هُوَ الظَّاهِرْ

وَ الْغَـيرُ كَسَـرَابٍ لَيْسَ لَـهُ مِنْ قَـرَارْ

الله الله يَا خِلاَّنْ إِحْـذَرُوا مِنَ الْغُـرُورْ

وَ أَنِيبُـوا إِلَى اللهِ تَنَـالـُوا مِنْـهُ الْسُّـرُورْ

وَ تَفُـوزُوا بِالرِّضْوانِ مِنَ الْغَنِي الْشَّكُورْ

فِي حَضْرَةِ الْرَّحْمَانِ حَيْثُ الأُنْسُ وَ الْحُضُورْ

سَارِعُوا عِبَادَ اللهِ إِنَّ الأَجَـلَ مَقْدُورْ

وَابْتَـغُـوا رِضْـوَانَ اللهِ قَبْلَ يَوْمَ الْنُّشُورْ

صَلِّ رَبِّ وَ سَـلِّمْ عَلَى الْنَّبِيِّ الأَكْـرَمْ

مُحَمَّـدْ وَآلِهِ وَ الْصَّحْـبِ وَ مَنْ وَالاَهْ



و له أيضا: لكَ الحمد مُفيِّض سائرَ النِّعم

لَكَ الحَمْدُ مُفَيِّض سَائرَ النِّعَم وَ المِنَنْ
ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا وَ قَدْ فَازَ مَنْ بِالشُّكْرِ ظَفَرْ

أَنتَ اللهُ الشَّكُورُ وَ إِنَّمَا شُكْرُنَا مِنْكَ أَثَرْ
كَمَا أَثْنَيتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي صَحِيحِ الخَبَرْ

فَهَنِيئاً لِمَنْ عَرَفَكَ إِلَهِي وَ فِي عِرْفَانِكَ اسْتَقَرْ
فَهُوَ وَاللهِ فِي نَعِيمٍ مِنْكَ دَائِمٌ مُسْتَمِرْ

وَ حَمْداً لَكَ رَبِّي عَلَى جَمعِكَ لَنَا بِالإِمَامْ
وَ قُدْوَةَ الخَيرِ العَالِمِ الرَّبَّانِي المَاهِرْ

الَّذِي سَادَ بِجَمْعِ الكَرَامَتَيْنِ التَّقْوى وَ النَّسَبْ
وَ فَازَ مِنَ الرَّسُولِ بِالوِرَاثَتَينِ وَ لاَ فَخرْ

أَعْنِي بِهِ القَائِمَ بِاللَّهِ وَ الدَّالِ عَلَيْهْ
مُرَبِّي السَّالِكِينَ و بَحْرِ العِرْفَانِ الزَّاخِرْ

وَلِيِّ نِعْمَتِنَا وَ قُرَّةِ أَعْيُنِنَا مَنْ
جَادَ عَلَيْنَا بِالعِلْمِ اللَّدُنِّي البَاهِرْ

سَيِّدِي عَلِي البُودلْمِي الهُمَامْ
جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا بِالحُسْنَى وَ النَّظَرْ

إلى وجهه الكريم بلحظة يوم المحشر
فنعّم اللهم روحه الطاهرة في حضرتك

فنعّم اللهم روحه الطاهرة في حضرتك
و أكرمه بمقعد الصدق و الرضوان الأكبر

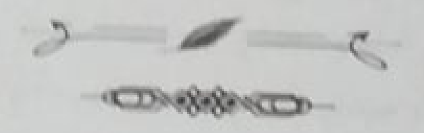
و اجعلنا بعده من الرجال الذين قيل فيهم
صدقوا ما عاهدوا عليه الله إلى يوم المحشر

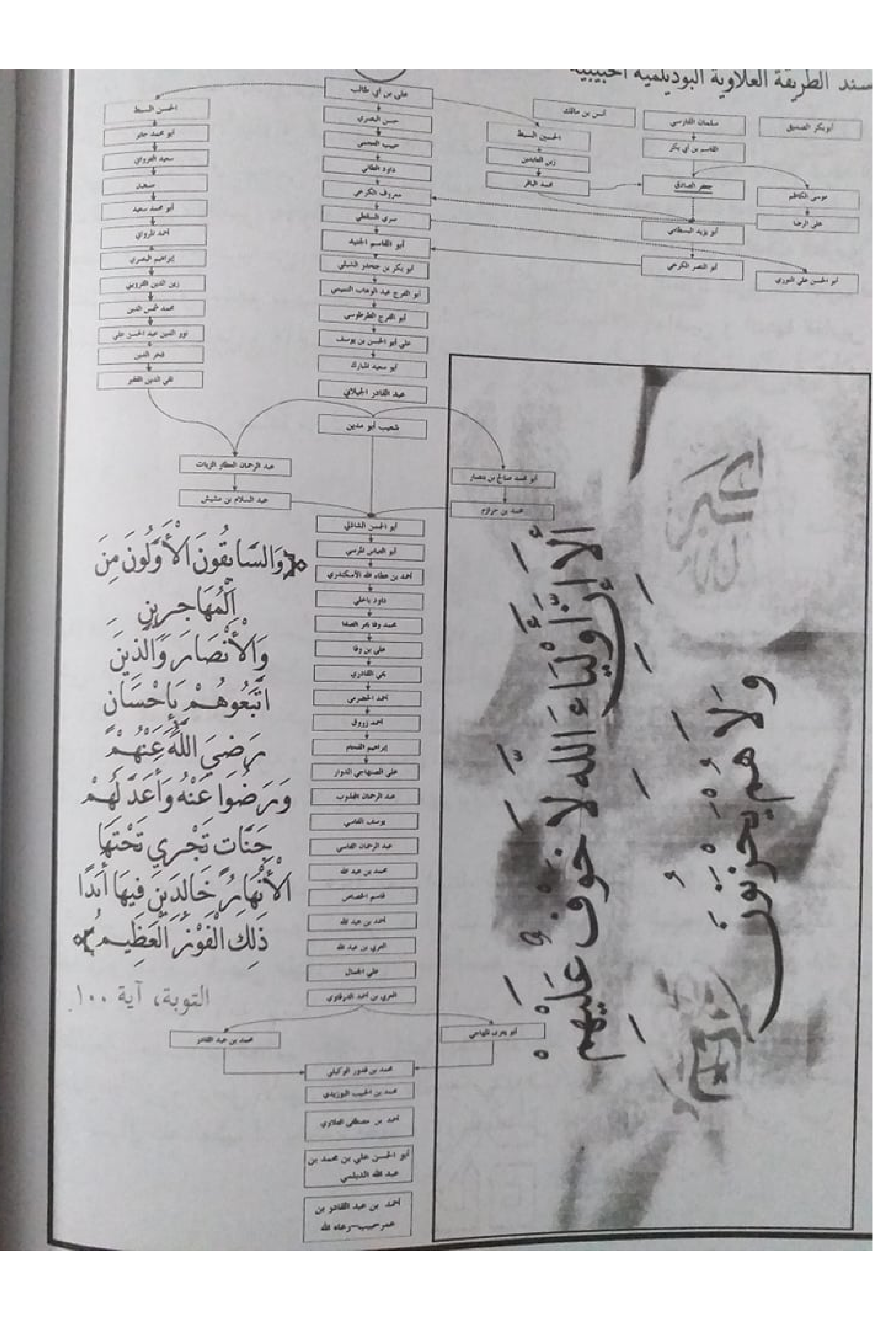
وازدنا بحقه و جاهه من مواهبك
الصافية و سرك الخفي و لنا الأمر يسر

و اسلك بنا سبل النجاة و الرضوان في كل شأن
بجاه من جعلته أمنا لنا من كل منكر

سيد الكونين رحمتك المهداة للعالمين
مولانا محمد المصطفى من صفوة البشر

صلّ عليه يا ربي و سلّم دوما و على
الآل و الصحب ثم من اقتفى له أثر





سند الطريقة العلاوية البوديلمية الحبيبية
علي بن أبي طالب
الحسن السبط
أبو محمد جابر
سعيد الغزواني
سعد
أبو محمد سعيد
أحمد المرواني
إبراهيم البصري
زين الدين القزويني
محمد شمس الدين
نور الدين عبد الحسن علي
فخر الدين
تقي الدين الفقير
حسن البصري
حبيب العجمي
داود الطائي
معروف الكرخي
سري السقطي
أبو القاسم الجنيد
أبو بكر بن جحدر الشبلي
أبو الفرج عبد الوهاب التميمي
أبو الفرج الطرطوسي
علي أبو الحسن بن يوسف
أبو سعيد المبارك
عبد القادر الجيلاني
أنس بن مالك
الحسين السبط
زين العابدين
محمد الباقر
سلمان الفارسي
القاسم بن أبي بكر
أبو بكر الصديق
جعفر الصادق
موسى الكاظم
علي الرضا
أبو يزيد البسطامي
أبو النصر الكرخي
أبو الحسن علي النوري
شعيب أبو مدين
عبد الرحمان العطار الزيات
عبد السلام بن مشيش
أبو محمد صالح بن منصار
محمد بن حرزهم
أبو الحسن الشاذلي
أبو العباس المرسي
أحمد بن عطاء الله الإسكندري
داود باخلي
محمد وفا بحر الصفا
علي بن وفا
يحي القادري
أحمد الحضرمي
أحمد زروق
إبراهيم أفحام
علي الصنهاجي الدوار
عبد الرحمان المجذوب
يوسف الفاسي
عبد الرحمان الفاسي
محمد بن عبد الله
قاسم الخصاصي
أحمد بن عبد الله
العربي بن عبد الله
علي الجمل
العربي بن أحمد الدرقاوي
محمد بن عبد القادر
أبو يعزى المهاجي
محمد بن قدور الوكيلي
محمد بن الحبيب البوزيدي
أحمد بن مصطفى العلاوي
أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الدبيلمي
أحمد بن عبد القادر بن عمر حبيب رعاه الله
﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
التوبة، آية ١٠٠
أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلاً مِثْلِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ تُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ تُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ "

صحيح البخاري، ج٥، ص٦٢٢٧

ملحق الكتاب-القسم الثالث:

سند الطريقة الشريف

الحمد لله الذي هدانا لطريق عباده العارفين الذين دلونا على الله و وضحوا لنا السبيل، الذين ورثوا سيد الأنبياء و المرسلين-عليه أفضل الصلاة و السلام-في ظاهره باتباع شرعه الكريم، و في باطنه بما كان عليه من معرفة الله حقّ المعرفة؛ المعرفة التي تصحبها نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق ، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى. هذا و لقد جادت أيادي عباد الله العارفين خلال العصور من شيوخ التربية من أهل التصوف الإسلامي على الذين أرادوا السلوك لطريق الله القويم فحققوا بذلك صلتهم و نسبهم بنبيهم الكريم-ﷺ-و لحقوا بذلك بسلف الماضين و ألمتها العارفين الذين طربت لذكرهم النفوس و هاجت الأرواح و اضطربت الأشباح و راح لسان الحال ينشد و هو مرتاح:-

لي سَادَةٌ من عِزِّهِم ... أقدامُهُم فوقَ الجِباهْ

إنْ لَمْ أكُنْ مِنهم فَلِي ... في حُبِّهِم عِزٌّ و جَاهْ

عن أنس-رضي الله عنه- أن رجلا سأل النبي-ﷺ- عن الساعة؛ فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء، إلا أنّي أحبُّ الله ورسوله-ﷺ؛ فقال: «أنت مع من أحببت»!!! قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي-ﷺ:أنت مع من أحببت! قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ-ﷺ- وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبِّي إيَّاهم وإن لم أعملْ بمثل أعمالهم. و نحن نقول إقتداءً بسيدنا أنس-رضي الله عنه:إنَّا نحبُّ الله و رسوله و صحابة رسول الله-ﷺ- وكل عباد الله العارفين بالله حقَّ المعرفة؛ فنرجو الله، صاحب الكرم و الجود، أن يحشرنا معهم يوم القيامة و إن لم نعمل بأعمالهم. آمين.آمين. آمين.

إنه ليس هناك أقوى حجة ممن استند بسند سيد المرسلين-ﷺ، و عباد الله الصّالحين و العارفين و انتسب إلى نسبهم الطّاهر. هذا و لقد رأينا أن نعطِّر هذا الملحق بنسب الطريقة الشريف لسيدي و صاحب الفضل علينا، سيدي الحاج أحمد حبيب-جزاه الله عنَّا خير الجزاء و بارك في كل ما قدّمه من خدمة لأمة الإسلام. آمين. هذا السند يسرد أسماء السادات، أصحاب التربية الروحية، إبتداءً من حبيب ربِّ العالمين-ﷺ-و إنتهاءً بشيخ الأستاذ أحمد حبيب في العلم و المعرفة، الشيخ الجليل الأكبر و الرجل الأنور، العارف بالله و مرشد السّالكين، سيدي علي البوديلمي-قدس الله سرّه. نسأل الله العظيم أن يحشرنا معهم و أن يجعلنا من الذين اهتدوا بهداهم. آمين. آمين. آمين.

